الهيئة التعليمية في مدارس دمشق الشرعية في القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي.

محمد فؤاد حماده*

الملخص

تُسلط هذه الدراسة الضوء على الهيئة التعليمية في مدارس دمشق الشرعية في القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي، والتي كانت تضم المُؤدّب وهو المسؤول عن تعليم الأطفال في الكتاتيب، والمُعيد المُكّلف بإعادة الدروس في المدارس، ونائب المُدرّس وهو الذي ينوب عن المُدرّس في إلقاء الدرس في حال غياب المُدرّس. وإن أهم عضو في هذه الهيئة هو المُدرّس، والذي قُيد بمجموعة من الشروط والواجبات التي تحدّد طريقة عمله في المدرسة، وكان تعيين المُدرّسين في المدارس حصراً من قبل السلطات المعنية بالسلطنة العثمانية، وقد تنوعت الأساليب التي اتبعها المُدرّسون للوصول إلى الوظائف العلمية، ومن هذه الأساليب السفر إلى العاصمة للوساطة عند أولي الأمر، والفراغ والرشوة واستغلال العلاقات الشخصية. وكثيراً ما شهدت المدارس تنافساً كبيراً بين المُدرّسين للتدرّيس فيها. وتباينت أعمار المُدرّسين عند تعيينهم، كما تباينت رواتبهم. ولم يكتفِ أغلب المُدرسين بوظيفة علمية واحدة، بل شغلوا أكثر من وظيفة في آن واحد. هذا وقد وفرت العديد من المدارس السكن لطلابها، وخاصة الوافدين منهم. كما أكد البحث على أن مدارس دمشق بما حوته من منظومة تعليمية شكلت مع مراكز أخرى في السلطنة مركزاً قديماً للفقه الإسلامي.

* جامعة دمشق – كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة – تاريخ حديث ومعاصر.

The educational body in the legitimate schools of Damascus in the eleventh century AH/seventeenth century AD

Mohamad Fouad Hamadeh

Abstract:

This research sheds light on the educational bureau at Damascus' religious schools in the Eleventh century (Hijri) / Seventeenth century, which included the educational man, who is responsible for educating children in closed sessions (Ktatib). And the other educational man who is responsible for repetition of the lessons at schools. And the deputy teacher who substitute the absent teacher. The teacher is the most important figure in the teaching process who has been restricted to a set of conditions and duties that characterize his career at school. Appointing teacher was strict to the involved Othman's authority. The teachers have followed many illegal or indirect ways to get their positions as teachers as bribery and travelling to the capital city for begging the authentic people who are in charge or paying bribery as well as to use personal affairs to get this chance. Many competitions between teachers were taking place to get the chance of teaching at schools. The teachers' ages were different as they got appointed at schools as well as their salaries. Teacher at that time didn't got enough with one scientific position at school, but they occupied more than one position. Moreover, schools hosted students and specially the envoy students (students with scholarship). The research assured that the educational organizations of Damascus schools with other Othman Empire educational institutions formed an old Islamic center for jurisprudence.

مخطط البحث:

أولاً: المقدمة:

ثانياً: أعضاء الهيئة التعليمية:

1–مُعلّم الكُتّاب:

2– المُعيد:

3– نائب المُدرّس:

4– المُدرّس:

أ – الشروط والمهمات التي تقع على المُدرّس:

ب – كيفية تعيين المُدرّسين:

ج – الأساليب المُتبعة للحصول على الوظائف العلمية:

د – التنافس بين المُدرّسين:

هـ – سّن تعيين المُدرّس:

و – رواتب المُدرّسين:

ز – الجمع بين الوظائف:

ح – الإقامة في المدارس:

5– الطلاب:

ثالثاً: الخاتمة:

أولاً: المقدمة:

المقصود بالهيئة التعليمية في القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي هي الفئة التي يسلك أصحابها سبيل التعلم عن طريق المؤسسات التعليمية الدينية التي كانت منتشرة في مدينة دمشق، وبعد أن يحصل الطالب على القدر اللازم من التحصيل ينال إجازته ويتخرج، ثم يعمل في إحدى الوظائف العلمية أو القضائية أو الدينية. وهذه الفئة كانت هي المسؤولة من حيث الأساس عن شؤون الدين والقضاء والتربية والتعليم. وكانت تتكون من القضاة القائمين على شؤون الفصل في القضايا وإدارة الشؤون الشرعية، ومن القائمين على التعليم والتربية في كافة المراحل. كما يدخل ضمن هذه الفئة موظفو الوظائف الدينية في المساجد كالأئمة والخطباء ومشايخ الطرق الصوفية، والسادات والأشراف من البيت النبوي. هذا وقد حافظت هذه الفئة من أهل العلم على تقاليدها جيداً، وتمسكت بصلاحيتها وامتيازاتها. فالعلماء تمتعوا بالكثير من الامتيازات منها الإعفاء من بعض الضرائب، وأقصى عقوبة يُمكن أن تطبق بحقهم هي العزل أو النفي، فضلاً عن منع إعدام العلماء[1].

وعندما سيطر العثمانيون على مدينة دمشق 922هـ/1516م لم يقوموا بإخضاع المؤسسات التعليمية الدينية العربية لنظامهم، بل أبقوا لها تقاليدها المتوارثة عن العهود السابقة – الزنكي، والأيوبي، والمملوكي– ومن ضمنها الهيئة التعليمية. علماً أن هذه التسمية " الهيئة التعليمية " هي تسمية حديثة ولم يكن هناك مُصطلح جامع لمن قام بعملية التدرّيس في مرحلة البحث. ونقصد بهذه البحث الهيئة التعليمية تلك الهيئة التي اختصت بتدرّيس العلوم الشرعية واللغوية فقط، فنادراً ما درّست هذه الهيئة العلوم التطبيقية التي كانت مُغيبة تماماً في فترة البحث؛ بسبب التحول الذي طرأ على الحياة العلمية بمُجملها بعد السيطرة العثمانية، فالدولة العثمانية لم تسعَ لتطوير الحركة العلمية،

[1] مجموعة مؤلفين: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، مجلدان، إشراف أكمل الدين إحسان أوغلي، ترجمة صالح سعداوي، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، استانبول، 1999، مج 1، ص286–287.

فأهملت المؤسسات التعليمية، ولم تخضع المُدرّسين للمراقبة العلمية، وأهملت العلوم التطبيقية، واقتصر الاهتمام على العلوم الشرعية التي تراجعت بدروها كنتيجة لإهمال العلوم التطبيقية. في حين دُرّست في العهود السابقة للسيطرة العثمانية على دمشق العلوم العقلية إلى جانب العلوم الشرعية واللغوية، ولو أن الغلبة كانت للعلوم الشرعية واللغوية. ومنذ النصف الثاني من القرن السادس عشر عانت السلطنة العثمانية من عدة مشكلات منها ضعف السلاطين، وفساد الإنكشارية وتمرداتها المتكررة، بالإضافة إلى الأزمات الاقتصادية والهزائم العسكرية، وترافق ذلك مع تفشي الفساد في كافة مفاصل السلطنة العسكرية والادارية والقضائية والعلمية، ولم تكن الهيئة التعليمية بمنأى عن هذا الفساد، حيث استشرى بين أعضائها، وانعكس هذا الفساد على الهيئة العلمية في مدينة دمشق.

تأتي أهمية البحث من أهمية الهيئة التعليمية في مدينة دمشق، فقد تمتعت هذه الهيئة بأهمية سياسة بفضل ما لها من تأثير معنوي وديني وفكري على أهالي دمشق. وقد أتت أهمية أعضاء هذه الهيئة من ضلوعهم في الفقه والشريعة، وهذا ما جعل لهم أهمية كبيرة في المجتمع، وزاد من تأثيرهم في طبيعة عملهم في التدرّيس والإفتاء والقضاء والإمامة والخطابة. فكل عضو من أعضاء هذه الهيئة يسعى لكسب أتباع له من طلبة العلم، ليكون صوته مسموعاً في مجالس زعماء المدينة، وكي يحتل مواقع رئيسية في المؤسسات التعليمية والدينية والقضائية الدمشقية.

أمّا هدف البحث فهو التعرف على أعضاء الهيئة التعليمية، والشروط والواجبات المترتبة عليهم، وكيفية تعيينهم ورواتبهم وأعمارهم والوظائف التي عملوا بها، والأساليب التي اتبعوها للوصول إلى هذه الوظائف، والمنافسات التي حصلت بينهم، وشروط قبول الطلاب في المدارس. أمّا إشكالية البحث كثيرة هي المراجع الحديثة التي تعطي سمة عامة وشاملة للهيئة التعليمة في القرون الأولى من السيطرة العثمانية على بلاد الشام ومنها دمشق، والواقع أن هذه الهيئة قد تعرضت لكثير من التغيير في القرن السابع عشر وهو ما سيؤكده البحث.

ثانياً: الهيئة التعليمية:

كان "... للسلطان ولكبير وزرائه وحكامه في الولايات دواوينهم لقضاء العدل، فالقضاة الوحيدون المعترف بهم رسمياً إنما كانوا قضاة الشرع وفي الواقع، كان العثمانيون أول من أعطى المحاكم الشرعية شكلها النظامي، وأخضع موظفيها لتنظيم رسمي. فالقضاة الذين يقضون بالشرع. والمفتون الذين يفسرونه، والأساتذة الذين يدرسونه في المدارس، وحتى موظفو الجوامع، كانوا كلهم منتظمين في هيئة رسمية لها رتبها المعروفة ونظامها التدريجي..."[2].

شكلت الهيئة التعليمية جزءاً جوهرياً من جهاز الحكم، إلى جانب الهيئتين العسكرية والإدارية. وكان أفراد هذه الهيئة يقومون بدور مهم، كصلة معنوية، وإلى حد ما، كصلة إدارية، بين السلطان ورعاياه، خاصة في الولايات العربية، فبواسطتهم وحدهم كان السلطان يؤثر في الرأي العام المسلم، إلا أن هؤلاء كانوا بدورهم الناطقين باسم الرأي العام، لا يبلغون السلطان شكاوي مختلف فئات الشعب فحسب، بل يسمعونه أيضاً صوت ضمير الشعب، وكانوا يشتركون في النشاط السياسي في العاصمة، وفي عواصم الولايات، كأن يفتوا بما يبرر خلع الحكام، إلا أنهم لم يسهموا في الحركات الشعبية ضد السلطان، بل كانوا موالين له، يستدرون له ولاء الشعب[3]. كما كان لهم دور في إقناع الشعب بالحاكم وتبرير الكثير من أعماله.

---

[2] حوراني (ألبرت): الفكر العربي في عصر النهضة 1798–1939، ترجمة كريم عزقول، ط3، بيروت، 1977، ص44.

[3] حوراني: الفكر العربي، ص44.

كان علماء الدين الملتزمين بدراسة الشريعة وتعليمها وشرحها وتطبيقها – وهي القانون المشتق من تعاليم الإسلام – والذين تدرجوا في دراسة العلوم الشرعية في مدارس السلطنة الشرعية إلى جانب رؤوساء الحرفيين والتجار قد شكلوا المنظومة الشرعية الوحيدة لضمان النظام والعدالة في مراكز الولايات العثمانية[4]، والتي كانت دمشق إحدى هذه المراكز التي حازت على أهمية خاصة من قبل أولي الأمر في السلطنة، لما احتوته من مؤسسات تعليمية مهمة يمكن القول أنها شكلت مع مصر مركزاً قديماً للفقه الإسلامي[5]، والتي كانت الهيئة التعليمية عمادها ومحورها الذي استند عليه ذلك الفقه، والتي تألفت من مُعلّم الكُتّاب، والمُعيد، ونائب المُدرّس، والمُدرّس.

1 – مُعلّم الكُتّاب:

كان اسمُ "المؤَدِّب" هو الاسمَ الشائعَ لمُعلّم الكُتَّاب خلال القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي، بالإضافة إلى لقب "الشيخ"، وكان يقع على عاتق مُعلِّم الكُتَّاب تعليم الأطفال تلاوة وتحفيظ القرآن الكريم، بالإضافة إلى القراءة والكتابة، وبعض الحساب والقليل من المعارف الدينية واللغوية العربية[6]. وكان المؤدب يُعلِّمُ الأطفال في بيوتهم، أو في ما يُسمى الكتاتيب، وكانت تُقام هذه الكتاتيب بالقرب من المساجد والمدارس، أو في المساجد والمدارس نفسها[7]. وكان المُؤدب يتقاضى راتباً مخصصاً من أوقاف الكُتَّاب، أو من الطلاب أنفسهم إذ لم يكن للكُتّاب أوقاف مخصصة، وقد حرص الأهالي على اختيار أفضل المؤدبين لتعليم أطفالهم[8].

---

[4] مجموعة مؤلفين بإشراف حوراني (ألبرت) خوري (فليب س) ويلسون (ماري ك): الشرق الأوسط الحديث، ترجمة أسعد صقر، 4 أجزاء، ط1، دمشق، 1996، ج1، ص19.

[5] شكلت سوريا ومصر أهمية كبيرة للسلطنة العثمانية لأسباب استراتيجية ومالية ودينية؛ فقد كانت أحد معاقل السيطرة العثمانية على شرقي المتوسط، وبلاداً تنتج مداخيل ضرائبية ضخمة للمزيد انظر حوراني (ألبرت)، تاريخ الشعوب العربية، نقله إلى العربية كمال خولي وأنطوان نوفل، ط2، بيروت، 2002، ص283.

[6] الخالدي (أحمد سامح): أنظمة التعليم، جزءان، ط1، القدس، 1933م، ج1، ص 82.

[7] الصباغ (ليلى): المجتمع العربي السوري في مطلع العهد العثماني، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1973، ص 169.

[8] شبلي (أحمد): تاريخ التربية الإسلامية، دار الكشاف، ط1، القاهرة، 1954م، ص 376.

وقد حدد ابن طولون في كتابه ((نقد الطالب لزعل المناصب)) الشروط التي يجب أن تتوافر في مؤدب الأطفال بقوله[9]: "...ينبغي أن يكون صحيح العقيدة، فلقد نشأ صبيان كثيرون عقيدتهم فاسدة، لأن فقيههم كان كذلك. فأول ما يتعين على الآباء الفحص عن عقيدة معلم أبنائهم، ...ومن حق معلم الصغار ألا يعلمهم شيئاً قبل القرآن، ثم بعده حديث النبي ﷺ...". وحُدّد سن مُعيّن لدخول الطالب الكُتّاب وهو السبع سنوات. ويستمر الطالب في المكتب متنقلاً ما بين حلقاته من حفظ القرآن أو سماع للحديث أو تعلم للفقه أو اشتغال بالقراءة والكتابة والخط حتى سن البلوغ[10]. ثم ينتقل إلى المدارس أو المساجد التي تروق له ليلتحق بإحدى حلقاتها، وإن لم يرغب فينصرف لشؤون الحياة.

ومن أهم مُعلّمي الأطفال في مدينة دمشق في فترة البحث إبراهيم بن الأحدب الشافعي(ت1010هـ/1602م)[11] الذي كان يُعلِّم الأطفال في كُتَّاب قُبالة المدرسة العمرية[12] في حي الصالحية[13]، وانتقل لاحقاً للتدرّيس بالمدرسة السليمية[14]. وامتلك أبو القاسم بن محمد المغربي المالكي(ت1039هـ/1630م)[15] كُتَّاب خاص به علّم

---

[9] ابن طولون (شمس الدين محمد): نقد الطالب لزعل المناصب، تحقيق محمد أحمد الدهمان وخالد محمد دهمان، دار الفكر العربي المعاصر، ط1، بيروت، 1992م، ص 177.

[10] ابن الحاج، (محمد بن محمد العبدري المالكي الفاسي): المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات والتنبيه على بعض البدع والعوائد التي انتحلت وبيان شناعتها، 4 أجزاء، دار الكتب العربية، ط1، بيروت، 1995، ج2، ص457–459.

[11] مُعلّم أطفال، مدرّس، دخل دمشق وأقام في المدرسة العمرية في الصالحية، ودرّس الفرائض والحساب والحديث. المحبي (محمد أمين بن فضل الله): خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، 4 أجزاء، (د.ن)، القاهرة، 1865، ج1، ص36.

[12] تقع في الصالحية، أنشأها الشيخ أبي عمر محمد بن أحمد بن قدامة(ت607 هـ/ 1210م)، وذلك في سنة 555 هـ/1160م، وكان في البداية يقتصر التعليم فيها على فقه المذهب الحنبلي، لكن فيما بعد فتحت دروساً للمذاهب الأخرى. العلموي (عبد الباسط): تنبيه الطالب و إرشاد الدارس إلى أحوال دور القرآن والحديث والمدارس، تحقيق صلاح الدين المنجد، مديرية الآثار القديمة العامة، دمشق، 1947، ص128.

[13] الغزي (نجم الدين محمد بن محمد): لطف السمر وقطف الثمر، جزءان، تحقيق محمود الشيخ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، (د.ت)، جـ 1، ص 241.

[14] تقع في الصالحية في جادة المدارس، وهي أول منشأة دينية واجتماعية علمية أنشئت في العهد العثماني في مدينة دمشق بناها السلطان سليم الأول (885–926هـ/1480–1520م) على ضريح الشيخ محي الدين بن العربي. ابن طولون (شمس الدين محمد): القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية، جزءان، تحقيق محمد أحمد دهمان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1980، ج1، ص116، 123.

[15] متصوف، مُفتي، مُدرّس، قدم من المغرب واستقر في مدينة دمشق وتوفي فيها. محمد أمين المحبي: خلاصة الأثر، ج1، ص145.

الأطفال فيه، بالإضافة إلى كونه مفتي المذهب المالكي في دمشق[16]. ومن الكتاتيب الخاصة مكتب الشيخ علي في الشاغور البراني[17]. كما علّم علي بن سعد الدين بن علوان الشافعي(991–1074هـ/1583–1664م)[18] الأطفال في كُتَّاب مُلحق بجامع المرادية[19]، وشغل وظائف أخرى في الوقت نفسه مثلاً التدريس في جامع المرادية[20]، وخطابة جامع المصلى[21]، وكان محمد البصراوي (ت1121هـ/1709م)[22] يؤدب الأطفال في المدرسة الخاتونية الجوانية[23]. وهناك من علّم الأطفال في منازلهم، وهؤلاء الأطفال هم أبناء الولاة، وقادة الجند، والميسورين مادياً، فكانوا يُفضلون إحضار المُعلّم إلى المنزل عوضاً عن إرسال أطفالهم إليه، ومنهم عبد الرحمن بن أويس الكردي الشافعي(ت1063هـ/1653م)[24]، الذي بدأ حياته بتعلّيم أولاد الولاة ثم درّس في المدرسة الناصرية[25]، وكذلك الأمر مع أحمد المجروحي الشافعي (1009–1069هـ/1601–1659م)[26]، الذي علِّم أطفال قادة الجند في مدينة دمشق[27]، ثم أصبح فيما بعد

---

[16] محمد أمين المحبي: خلاصة الأثر، جـ 1، ص 145

[17] لم أعثر على معلومات عنه، وكل ما ذكرته الوثيقة "... وإلى الغرب منه مكتب الشيخ علي معلم الصبيان...". سجل دمشق، محاكم شرعية، رقم 18، وثيقة رقم 122، ص 232، تاريخ1101هـ/1690م.

[18] مؤدب، مُدرّس، درس في دمشق، ودرّس في جامع المرادية، واشتهر بنسخ الكتب. محمد أمين المحبي: خلاصة الأثر، ج3، ص 160.

[19] أحد المساجد العثمانية، يقع في السويقة المحروقة، أنشأه والي دمشق مراد باشا أثناء ولايته على دمشق في العام 976هـ/1567م. الغزي: لطف السمر، ج1، ص100.

[20] محمد أمين المحبي: خلاصة الأثر، جـ 3، ص 160.

[21] لايزال في حي الميدان التحتاني، ويعتبر ثاني أكبر جوامع دمشق بعد الأموي، تم إنشائه في العهد الأيوبي سنة 606هـ /1210م. العلبي(أكرم حسن): خطط دمشق، دار الطباع ، دمشق، 1989، ص 310.

[22] لم أعثر على ترجمة له.

[23] إحدى مدارس المذهب الحنفي، تقع في محلة حجر الذهب، أنشأتها الخاتون عصمة الدين زوجة السلطان نور الدين الزنكي في العام 570هـ/1175م. العلموي: تنبيه الطالب، ص87. النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس، ج1، ص388. ابن كنان (محمد بن عيسى الصالحي): الحوادث اليومية من تاريخ أحد عشر وألف ومية، تحقيق أكرم حسن العلبي، دار الطباع، ط1، دمشق، 1994،ص 151.

[24] : مدرّس، مؤدب، دخل دمشق قادماً من مناطق الأكراد واستقر فيها. المحبي (فضل الله بن محب الدين ت1082هـ/1671م): فيض المنان في تراجم أبناء الزمان، مخطوط يوجد صورة عنه في مكتبة الأسد، (250ق)، رقم 1685، ق202–203.

[25] إحدى مدارس المذهب الشافعي، تقع داخل باب الفرايس، أنشأها الملك الناصر يوسف بن الملك العزيز محمد الأيوبي (653هـ/1255م). فضل الله المحبي: فيض المنان، ق 202. النعيمي (عبد القادر بن محمد): الدراس في تاريخ المدارس، جزءان، تحقيق ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، 1990،، ج1، ص351.

[26] مؤدب، مدرّس، كان يتحدث اللغات الثلاث العربية والفارسية والتركية، قدم دمشق سنة 1025 هـ/1616م، واستقر فيها. فضل الله المحبي: فيض المنان، ق32–33.

أصبح مُدرّساً بالمدرسة اليونسية[28]، والقجماسية[29]. وفي حال وقع أي خلاف بين المُؤدّبين حول التعلّيم في هذه الكتاتيب كانوا يحتكمون إلى محاكم دمشق الشرعية لحل هذه الخلافات[30].

مما سبق ذكره يمكن القول أن أماكن تدرّيس الأطفال في مدينة دمشق تنوعت بين مكاتب خاصة، ومكاتب مُلحقة بالمدارس والجوامع، وفي المنازل، كما أن العديد من المُدِّرسين بدأوا حياتهم التدريسية بتدرّيس الأطفال ثم انتقلوا لتدرّيس الكبار، وهناك من جمع بين تدرّيس الأطفال ووظائف مثل التدريس في المدارس والمساجد، والخطابة، والإفتاء. لقد أسهم معلمو الكُتّاب في إعداد الطلاب لإكمال تحصيلهم في العلوم الشرعية واللغوية في مدارس ومساجد دمشق، فالكُتَّاب هو اللبنة الأولى في مدماك الحياة العلمية الطويلة التي يعيشها الطالب.

2- المُعيد:

ظهر نظامُ الإعادة في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي مع المدرسة النظامية في بغداد، في عهد السلطان السلجوقي ألب أرسلان وابنه ملكشاه، ولم يرد لها ذكرٌ قبل هذا التاريخ[31]، والمعيد هو من يعيد الدرس على الطلبة بعد انصراف المُدرّس، وذلك لتثبيت المعلومات التي شرحها المُدرّس في أذهان الطلبة، وهو يلي المُدرّس ونائبه في الرتبة[32]. وكان نظامُ الإعادة شائعاً في مدينة دمشق في القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي، ومن الذين أعادوا في دمشق تاج الدين القرعوني

---

[27] فضل الله المحبي: فيض المنان، ق 32.

[28] تقع في الشرف الأعلى إلى الشرق من المدرسة العزية، أنشأها الأمير يونس دوا دار الملك الظاهر برقوق سنة (786 هـ/ 1384 م). وتعرف بالخانقاه اليونسية. النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس، ج2، ص148.

[29] إحدى مدارس المذهب الحنفي، تقع في حارة الغرباء داخل باب النصر، أنشأها في العهد المملوكي نائب السلطنة بدمشق قجماس الاسحاقي الجركسي في العام 891هـ/ 1486م. العلموي: تنبيه الطالب، ص100.

[30] سجل دمشق، محاكم شرعية، رقم 10 مشوش، وثيقة رقم10، ص3، صورة 3، تاريخ 1101هـ/ 1690م.

[31] أحمد شبلي: تاريخ التربية الإسلامية، ص 255.

[32] القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي): صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، 14 جزء، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المطبوعة الأميرية، مصر، 1963، ج 5، ص 436.

الشافعي[33]، فبعد أن رحل إلى دمشق تاركاً قريته في جبل لبنان طلباً للعلم تولى إعادة درس مُدرِّسِهِ الحسن البوريني الشافعي (963–1024هـ/1556–1615م)[34] في جامع الدرويشية[35] لمدة أربع سنوات متتالية، وفيما بعد تولى خطابة جامع السقيفة[36] في دمشق[37]. وأعاد عبد اللطيف بن يحيى بن المنقار الحنفي (ت1057هـ/1648م)[38] درس عبد الرحمن بن محمد العمادي الحنفي(978–1051هـ/1570–1641م)[39] في المدرسة السليمانية[40] سنة 1023هـ/1614م[41]، وتولى فيما بعد عبد اللطيف تدرّيس المدرسة المارداني[42]. كما كان عثمان بن محمود القطان الشافعي

[33] هو تاج الدين القرعوني: فقيه، خطيب، مُتصوف، قدّم من القرعون في لبنان إلى دمشق ودرّس فيها، تولى خطابة جامع السقيف خارج باب توما، كان حياً سنة 1010هـ/ 1602م. البوريني(الحسن بن محمد): تراجم الأعيان من أبناء الزمان، جزءان، تحقيق صلاح المنجد، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، 1959،1966 ، ج2، ص112–113.

[34] مؤرخ، مدرس، قاض واعظ، صاحب كتاب تراجم الأعيان، بن أبناء الزمان، بدأ تعليمه في قريته فلسطين ثم تابع تحصيله العلمي ما بين دمشق والقدس، توفي في دمشق. نجم الدين الغزي: لطف السمر، ج2، ص538.

[35] أحد الجوامع العثمانية، يقع في محلة الدرويشية، أنشاه والي دمشق درويش باشا في العام 980هـ/1572م. بدران (عبد القادر): منادمة الأطلال ومسامرة الخيال، المكتب الإسلامي، (د.ت)، ص 376 .

[36] جامع قديم كان في محلة برج الروس خارج باب توما، ويعرف اليوم بمسجد الثقيفي، من أسمائه الأخرى مسجد السقيفة. العلموي: مختصر تنبيه الطالب، ص230.

[37] البوريني: تراجم الأعيان، جـ 2، ص 113.

[38] مُدرّس، فقيه، أديب، شاعر. درس الفقه والعربية في دمشق. محمد أمين المحبي: خلاصة الأثر، ج3، ص20–23.

[39] مفتي، مُدرّس، مُتصوف، نقشبندي، درس في دمشق والحجاز، وتولى إفتاء الحنفية في دمشق، كما درّس في العديد من مدارسها وترك بعض المؤلفات في الفقه والتاريخ، المرادي (محمد خليل بن علي بن محمد) عرف البشام فيمن وُليَّ فتوى دمشق الشام، تحقيق رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع الحافظ، دار ابن كثير، ط 2، بيروت، 1988،ص66–72.

[40] هي إحدى المنشآت الدينية العلمية التي أنشئت في العهد العثماني، تقع في موضع القصر الأبلق شرقي المرج الأخضر. أنشأها السلطان سليمان القانوني (ت973هـ / 1566م)، وذلك في سنة 962 هـ/ 1555م. العلموي: مختصر تنبيه الطالب، ص239.

[41] البوريني: تراجم الأعيان، جـ2، ص 319.

[42] إحدى مدارس المذهب الحنفي، تقع في الصالحية في ساحة الجسر الأبيض، أنشأتها عزيزة الدين أخشا خاتون بنت الملك قطب الدين صاحب ماردين في سنة 610 هـ/ 1213م. النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس، ج1، ص454.محمد أمين المحبي: خلاصة الأثر، جـ3، ص 20.

(ت1115هـ/1703م)[43] مُعيداً في المدرسة السليمانية[44]، ودرَّس عثمان لاحقاً في المدرسة العادلية[45].

وقد نشأت علاقات قوية بين المُعيد والمُدرّس لدرجة أن بعض المُعيدين استمروا في إعادة دروس مُدرّسيهم طوال حياتهم، مثل عبد القادر بن عمر التغلبي الحنبلي(1052-1130هـ/1642-1718م)[46] الذي أعاد دروس أبي المواهب محمد الحنبلي(1044-1126هـ/1634-1714م)[47] من العام 1073هـ/ 1663م حتى العام 1126هـ/1714م[48] أي 57 عاماً. وهناك بعض المُدرّسين اللذين استغلوا وجود أبنائهم في حلقاتهم العلمية فاختاروهم مُعيدين لهم، لتمرينهم على التدرّيس في سن مبكرة، مثل عبد الرحمن العمادي الحنفي الذي اختار ابنه إبراهيم (1012-1078هـ/1603-1667م)[49] ليكون مُعيداً لدرسه في المدرسة السليمانية[50].

وفي بعض الأحيان كان المُعيد يبقى في منصبه بالرغم من تغيير المُدرّس كما حدث مع أحمد بن علي الصفوري الشافعي(977-1043هـ/1569-1634م)[51] الذي تولى

---

[43] مُدرّس، درس في دمشق، تولى مناصب علمية عديدة، وكان قد نفي فترة من الزمان مع عبد الكريم ابن حمزة نقيب الأشراف أيام ولاية أحمد باشا الكوبريلي على دمشق. المرادي (محمد خليل بن علي): سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، 4 أجزاء، دار الكتاب الاسلامي، القاهرة، (د.ت)، ج3، ص 167-170.

[44] الدكدكجي (محمد بن ابراهيم بن محمد ت1131هـ/1719م): مجموعة مسانيد وإجازات وتراجم لبعض علماء دمشق(مشيخته)، مخطوط يوجد صورة عنه في مكتبة الأسد الوطنية، (ق160)، رقم9273، ق 30 آ.

[45] إحدى مدارس المذهب الشافعي، تقع في حي الكلاسة، أنشأها الملك العادل سيف الدين أبي بكر محمد بن أيوب بن شادي (ت616هـ/1219م). بدران: منادمة الأطلال، ص 123.

[46] مُدرّس، مُفتي، فقيه، درس في دمشق والحجاز، وتولى إفتاء المذهب الحنبلي في دمشق، ودرّس في الجامع الأموي، وترك مؤلفات فقيه، وجمع لنفسه مشيخة. المرادي: سلك الدرر، ج3، ص58-59.

[47] فقيه، مُحدث، مقرئ، مُدرّس، مفتي، درس العلوم الشرعية واللغوية في دمشق ومصر والحجاز، ، درّس في مساجد دمشق، وتولى إفتاء المذهب الحنبلي في دمشق، وترك مؤلفات عديدة. الغزي (محمد أبو المعالي بن عبد الرحمن ت1167هـ/1754م): ثبته، مخطوط يوجد صورة عنه في مكتبة الأسد الوطنية، (54ق)، رقم3876، ق 55ب - 57آ.

[48] التغلبي (عبد القادر بن عمر ت1135هـ/1723م): ثبته عبد القادر التغلبي، مخطوط يوجد صورة عنه في مكتبة الأسد، (22ق)، رقم 4415، ق 3-آ.

[49] مُدرّس، قاضي، درس الأدب والحديث والفقه في دمشق، وتولى التدريس في العديد من مدارس دمشق، محمد أمين المحبي: خلاصة الأثر، ج1، ص53-56.

[50] فضل الله المحبي: فيض المنان، ق66.

[51] شاعر، أديب، فقيه، قاض، مُدرّس، درس في دمشق، تولى مناصب قضائية. محمد أمين المحبي: خلاصة الأثر، ج1، ص246-248.

وظيفة مُعيد لدرس الشمس الميداني الشافعي (ت1033هـ/1624م) [52] ومن بعده محمد نجم الدين الغزي الشافعي (977–1061هـ/15701651م) [53] – في الجامع الأموي [54]، ودرّس الصفوري لاحقاً في دار الحديث الأشرفية[55]. وعندما كان المُدرّس يُعجب بأحد طلابه ويلاحظ مقدراته العقلية، والذهنية التي تفوق مقدرات زملائه في الدرس، يُسارع إلى تعيينه معيداً لدرسه، مثل عبد الوهاب بن أحمد الفرفوري الحنفي (1012–1073هـ/1603–1663م) [56] الذي عينه عبد الرحمن العمادي مُعيداً لدرسه بعد أن لاحظ مقدراته العلمية [57]، ودرّس فيما بعد الفرفوري في المدرسة الجقمقية[58].

لم تكن وظيفة المُعيد حكراً على الطلبة فقط فهناك من تولى الإعادة، وشغل وظائف علمية ودينية في آنٍ واحدٍ مثل زكريا بن خضر البقاعي الشافعي (ت1020هـ/1611م)[59]، الذي تولى إعادة درس الحسن البوريني في المدرسة الناصرية الجوانية، وفي الوقت نفسه تولى تدرّيس المدرسة النحاسية[60]. وأيضاً شرف الدين الدمشقي الشافعي(ت1038هـ/1629م)[61] الذي كان مُعيداً لدرّس الشمس الميداني

---

[52] هو محمد بن محمد بن يوسف بن أحمد الملقب بشمس الدين الميداني الشافعي: محدث، مدرس، فقيه، إمام، واعظ درس في دمشق والقاهرة، وحصل على الكثير من الوظائف الدينية والعلمية. نجم الدين الغزي: لطف السمر، ج1، ص172–187.

[53] مؤرخ فقيه، محدث، أديب قاض، متصوف، مدرس تولى إفتاء الشافعية في دمشق، ودرس في العديد من مدارسها ومساجدها وترك الكثير من المؤلفات. أبي المواهب (محمد بن عبد الباقي الحنبلي): مشيخة أبي المواهب الحنبلي، تحقيق محمد مطيع الحافظ، دار الفكر، ط1، دمشق، 1990، ص63–61.

[54] فضل الله المحبي: فيض المنان، ق40.

[55] تقع جوار باب قلعة دمشق الشرقي، غربي المدرسة العصرونية، وقد أنشأها الملك الأشرف موسى (ت635هـ/1237م). النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس، ج1، ص15

[56] مُدرّس، مُفتي، فقيه، درس في دمشق، وتولى إفتاء المذهب الحنفي في دمشق. المرادي: عرف البشام، ص76–77.

[57] الدكدكجي: مشيختة، ق 52– آ.

[58] إحدى مدارس المذهب الحنفي، وتقع في الكلاسة، وقد أنشأها سيف الدين جقمق في العام 824هـ/1421م، وتعد من أجمل مدارس دمشق. العلموي: تنبيه الطالب، ص82.

[59] مُدرّس، فقيه، هو من إحدى قرى جبل لبنان، دخل مدينة دمشق ودرس فيها وأكمل دراسته في مصر. البوريني: تراجم الأعيان، ج2، ص227.

[60] تقع في حي العقيبة في العمارة الجوانية، وتعرف بالخانقاه النحاسية، أنشأها الخواجا شمس الدين النحاسي (ت862هـ/1458م). العلموي: مختصر تنبيه الطالب، ص153.البوريني: تراجم الأعيان،ج2، ص227.

[61] مدرّس، درس في دمشق ودرس في مسجد هشام، كما درّس دروس خاصة، توفي بدمشق. محمد أمين المحبي: خلاصة الأثر، ج2، ص225.

الشافعي في الجامع الأموي، وفي الوقت نفسه درس في مسجد ابن هشام[62]. وكذلك الأمر بالنسبة لرمضان بن عبد الحق العكاري الحنفي(984-1056هـ/1576-1646م)[63] الذي كان يُدرّس في المدرسة الظاهرية[64]، بالإضافة إلى توليه وظيفة مُعيد درس محمد نجم الدين الغزي الشافعي في الجامع الأموي[65].

والسؤال هنا لماذا شغل بعض المُدرّسين وظيفة المُعيد بالرغم من أنها رتبة أقل من رتبة المُدرّس من الناحية العلمية والمادية، قد يكون الدافع المادي أحد الأسباب؛ فمن المعلوم أن للمعيد راتباً ثابتاً من وقف المدرسة وهو أقل من راتب المُدرّس طبعاً، فهناك عدد من المدرسين الذين اضطروا لشغل وظائف عدة في آن واحد لتأمين مصدر دخل كافي في حياتهم. إضافة إلى الدافع العلمي الذي كان الحافز المهم لشغل العديد من المُدرّسين وظيفة المُعيد فمن خلال الأمثلة السابقة المُدرّسين هم الحسن البوريني، والشمس الميداني، ونجم الدين الغزي، وهم من كبار مُدرّسي مدينة دمشق في فترة البحث، ولاشك أن تولي وظيفة مُعيد لدروس هؤلاء المُدرّسين ستعود بالمنفعة العلمية على المعيدين؛ كونهم يختزنون الكثير من العلوم الشرعية واللغوية، ويمكن الاستفادة منهم بشكل دائم.

ولم تقتصر المصادر على ذكر المُعيدين، بل نجد ذكراً لهم في سجلات المحكمة الشرعية في دمشق، من خلال تعيين قاضي القضاة الحنفي في مدينة دمشق عدد من المُعيدين وتحدّيد رواتبهم، ففي العام 1110هـ/1699م قام القاضي حسين أفندي بتعيين مصطفي جلبي بن إبراهيم أفندي مُعيداً في المدرسة العذراوية[66] الشافعية براتب وقدره 3

---

[62] الدكدكجي: مشيتخته، ق 43- آ. ومسجد ابن هشام يقع في سوق مدحت باشا، أُعيد بناؤه في العام 831هـ/1429م. العلبي: خطط دمشق، ص359.

[63] مدرس، فقيه، مفتي، نحوي، خطيب، درس بدمشق، وتولى وظائف دينية وتعليمية عدة. فضل الله المحبي: فيض المنان، ق131-132.

[64] إحدى المدارس المشتركة بين المذهبين الشافعي والحنفي، وتعد من أهم مدارس دمشق، تقع في حي الكلاسة، وقد أنشأها الظاهر بيبرس في العام 678هـ/1279م. النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس، ج1، ص263.

[65] فضل الله المحبي: فيض المنان، ق131.

[66] إحدى المدارس المشتركة بين المذهبين الشافعي والحنفي، تقع في حارة الغرباء داخل باب النصر، أنشأتها الست العذراء بنت شاهنشاه بنت أيوب سنة 583هـ/1187م. النعيمي: الدراس في تاريخ المدارس، ج1، ص382.

عثماني عن كل يوم[67]. كما عُين أيضاً محمد أفندي بن أحمد البكري الصديقي في وظيفة ربع الإعادة في المدرسة العمرية، وذلك في العام 1110هـ/1699م[68]. ومن خلال الوثيقة الأخيرة وعدة وثائق أخرى، يمكن القول أن وظيفة المُعيد قد قُسّمت في بعض الأحيان بين شخصين أو بين أربع أشخاص، ولا شك أن الراتب المُخصصة للمُعيد قد قُسّمَ أيضاً، وهذا الأمر كان بيد قاضي القضاة الحنفي المُرّسل من قبل السلطنة العثمانية.

3 – نائب المُدرّس:

"الاستنابة" هي أحد الأساليبِ للوصولِ إلى منصب التدريّس، وقد أتاحت لكثير من المُدرّسين فرصة الحصول على وظيفة تدرّيسية دون أن يدخلوا في منازعاتٍ، ودون مزيدٍ من الانتظار لتصدر بشأنهم براءات التعيين في الوظائف التعليمية. والاستنابة قرار حق للمُدرّس يتخذه بإسناده وظيفة التدرّيس التي يشغلها إلى من يراهُ أهلاً للقيام بهذه المهمة سواءً كان من ذريته، أم من أقاربه أم معارفه[69]. وهي وظيفة مؤقتة، وقد تطول مدتها أو تقصر بحسب مدة غياب المُدرّس عن درسه، وتكليف نائبه بالتدرّيس مكانه، وقد كان التدرّيس نيابةً شائعاً في دمشق في القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي، وذكر المحبي أن حسن بن محمد الكردي الشافعي(ت1078هـ/1668م)[70] قد دخل إلى دمشق سنة 1075هـ/1665م و"... اختص أولاً بالملّا أبي بكر ابن منلّا جامي[71]...،

(67) سجل دمشق، محاكم شرعية، رقم 20، وثيقة رقم 616، ص 196، صورة 101، تاريخ 1110هـ/1699م.
(68) سجل دمشق، محاكم شرعية، رقم 20، وثيقة رقم 686، ص 220، صورة 113، تاريخ 1110هـ/1699م.
(69) قمبر (محمد): دراسات في التربية الإسلامية، دار الثقافة، ط1، الدوحة، 1989، ص 21–27.
(70) مُدرّس، رياضي، درس العلوم الرياضية في بلاده، وترك مؤلف رياضي، توفي وهو في الروم. محمد أمين المحبي: خلاصة الأثر، ج2، ص63.
(71) المنلا أبو بكر عبد الرحمن المعروف أبوه بمنلا جامي الشافعي الحريري الكردي(ت1077هـ/1667م): قاضي، مدرّس، درس بدمشق بعد دخوله لها سنة 1071هـ/1661م، تولى التدريس في بعض مدارس كما تولى مناصب قضائية. محمد أمين المحبي: خلاصة الأثر، ج1، ص86–87.

فاستنابه في تدريس السليمية لسوء مزاجٍ كان اعتراه..."[72]. وهنا نلاحظ أن سبب الاستنابة صحي- نفسي، هذا وقد درَّس حسن لاحقاً في الجامع الأموي.

وعندما كان المُدرِّس يُسافر خارج دمشق للحج أو للعاصمة استنبول، أو بسببٍ ما كان يستنيب من يراه كفئاً لهذه المهمة، وهذا ما قام به الشمس الميداني الشافعي(ت1033هـ/1624م) عندما أراد الحج فاستناب مكانه نائب درسه علي بن ابراهيم القبردي(984-1060هـ/1576-1650م)[73] "...في بقعة التدريس التي كانت له في الجامع الأموي..."[74]. كما أناب أبو سعود بن تاج الدين الخزرجي الشافعي(1094هـ/1683م)[75] "...عن الشيخ يونس المصري[76] في درس قبة النسر[77] المشهورة في الشام لما توجه إلى الروم فدرس شهرين وأيام وحُمدت طريقته...."[78] كما ذكر الدكدكجي.

وهكذا نلاحظ أن أسباب الاستنابة تعددت، وكانت إما لأسباب صحية، أو لانشغال المُدرِّس لسببٍ ما. ولم يقتصر أسلوب الاستنابة على التدرّيس فقط، بل كان شائعاً في مختلف الوظائف الأخرى مثل الخطابة، والإفتاء، والقضاء. حقق أسلوب الاستنابة الاستقرار في العملية التعليمية، فلم ينقطع الطلاب عن الدروس، وخصوصاً أن العديد من الدروس اعتمدت على مُدرّس واحد فقط، كما أسهم أسلوب الاستنابة في تدريب المُدرّسين على العملية التدريسية قبل حصولهم على وظائف تدريسية مستقلة.

---

[72] محمد أمين المحبي: خلاصة الأثر، جـ2، ص 63.

[73] مُدرّس، درس في دمشق، ودرّس فيها، وكان يسكن في المدرسة العمرية. فضل الله المحبي: فيض المنان، ق208-209.

[74] محمد أمين المحبي: خلاصة الأثر، جـ3، ص 124.

[75] مُدرّس، فقيه، مُحدث، درس في دمشق، ودرّس في الأموي. الدكدكجي: مشيخته، ق22 آ.

[76] هو يونس بن أحمد المحلي الأزهري الكفراوي المصري الشافعي نزيل دمشق(ت1120 هـ/1708م): مدرس، محدث، درس في مصر ودمشق، واستقر بدمشق، توفي بدمشق. المرادي: سلك الدرر، ج4، ص265-266.

[77] هي قبة حرم الجامع الأموي، وكان أحد رجال السلطنة العثمانية وهو بهرام آغا قد قدم دعم مادي لدرس الحديث تحت القبة من خلال تخصيص راتب للمدرس، والمعيد والطالب. محمد أمين المحبي: خلاصة الأثر، ج3، 408-409.

[78] الدكدكجي: مشيتخته، ق 22- آ.

4– المُدرّس:

حفل القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي في بلاد الشام بعددٍ من المُدرّسين المُتخصصين في العلوم الشرعية واللغوية كالقراءات، والحديث، والتفسير، والفقه، واللغة العربية، وكان المُدرِّس يقوم بتدرّيس هذه العلوم ولا يمارس تلك المهمة إلا بعد حصوله على الإجازة بالتدريس. ولقد عُني منشئوا المدارس وواقفوها باختيار أشهر العلماء للتدريس في مدارسهم التي أنشؤوها، و كان طلاب العلم يرحلون إلى المُدرّس المشهور، فهو الذي يعلي من شأن المدرسة.

أ – الشروط والمهمات التي تقع على المُدرّس:

قُيد المُدرّس بمجموعة من الشروط والواجبات والتي تشابه إلى حد كبير ما هو معمول به اليوم في المدارس والجامعات. ومنها أن لا يتولَّى المدرّس وظيفة التدرّيس إلا بعد أن يكون قادراً على أداء هذه الرسالة، وأن يكون عالماً بالعلم الذي يُدرّسه، ولا يمتنع عن تدرّيسِ أحد. كما على المُدرِّس تحفيز الطلاب على العلم، وتهذيبُ أخلاقهم وسلوكياتهم ونفسيتهم، وأن لا يبخل عليهم بشيء من علمه، ويعطف عليهم ويحسن إليهم بعلمه وماله وجاهه. وعلى المُدرِّس قبل بدء الدرس القيام بتفقد الطلاب، والسؤال عن الغائبين من الطلاب الغياب في حال حدث ذلك. وعليه أن يبذل أقصى جهد في سبيل إيصال المعلومات لطلابه، كما يتوجب عليه أن يدرك مستوى طلابه العلمي، فلا يلقنهم ما هو فوق قدراتهم العقلية والعلمية، كما عليه الإجابة عن تساؤلات الطلاب. وأن يقوم في نهاية كلِّ درسٍ بتقويم الدرس الذي شرحه. وعلى المُدرِّس حثّ طلابه على الدراسة، كما عليه أن لا يميز بينهم على أي أساس، وأن يكون عادلاً بينهم.

ومن الواجبات المترتبة على المُدرّس أن يشرح الدرس بأحسن وأسهل الطرق فلا يشرح الدرس على عجالةٍ، بل يتمهل في شرحه ليعطي الوقت لطلابه من أجل فهمه، ويكرر شرح الدرس إذا لاحظ أن طلابه لم يفهموا الدرس من أول شرح، وعندما ينتهي من فقرة، أو مسألةٍ، أو فصلٍ، يصمت قليلاً ليعطي الوقت للطلاب إذا كان لديهم تساؤلات حول الفقرة. كما عليه عدم إطالة وقت الحصة الدرسية، ولا يختصر وقت الحصة بحيث يؤثر سلباً على فهم الطلاب للدرس. وعليه التقيد بإعطاء درسه في الفترة الممتدة من طلوع الفجر حتى بعد الظهر، وعلى المُدرِّس أن يشرح الدرس بصوت واضح، وأن يعاقب أي طالب يخلُّ بآداب الدرس، وعليه أن يلازم الانصاف في بحثه وخطابه، وفي نهاية الدرس أن يقول: ((... والله اعلم...)) وأن يبقى بعد الدرس في المجلس لبعض الوقت، فإذا كان لأي طالب سؤال يمكنه أن يستفسر عنه[79]. والسؤال هل التزم المُدرّسون بهذه الشروط والواجبات، أم أنها بقية مجرد نظريات تربوية، وبما أن الهيئة التدريسية قد ضمت عدد من المُدرّسين الجيدين والسيئين، فلابد أن الجيد منهم التزم، والسيء لم يلتزم.

ب- كيفية تعيين المُدرّسين:

كان تعيين المُدرّسيين وغيرهم من موظفي المنشآت العلمية، والدينية، والاجتماعية في مدينة دمشق في القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي بيد السلطنة العثمانية، وكان هناك طريقتان لتعيين المدرسين: الطريقة الأولى، كانت تتم عن طريق إصدار البراءة السلطانية[80] من العاصمة استانبول، وفيها قرار تعيين المُدرِّسين، أو

[79]- العلموي (عبد الباسط): المعيد في أدب المفيد والمستفيد، وقف على طبعه أحمد عبيد، الطبعة الأولى، المكتبة العربية، دمشق، 1349هـ \1930م، ص 44-57. الغزي (بدر الدين): الدر النضيد في أدب المفيد والمستفيد، تحقيق أبو يعقوب نشأت بن كمال المصري، الطبعة الثانية، مكتبة التوعية الإسلامية، القاهرة ، 2009، ص 172- 208.

[80] البراءة: هي اصطلاح أُطلق في العصر العثماني على عدة أمور مختلفة عن بعضها باختلاف طبيعتها، وهي هنا عبارة عن أمر حكومي يعهد فيه بتولية أحد الرعايا في وظيفة ما. وهو ما يدعى في عصرنا الحالي بـ (قرار أو مرسوم التعيين) في وظيفة شاغرة. وكانت تمنح لحكام الولايات، وأصحاب الإقطاعات العسكرية وأصحاب الوظائف من أهل العلم، وغيرهم. بوودن (هارولد) وهاملتون (جب): المجتمع الإسلامي والغرب، ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى، مراجعة الدكتور أحمد عزت عبد الكريم، جزءان، القاهرة، 1971، جـ1، ص 72، 173-174.

الموظفين الآخرين، وقيمة مرتباتهم من الأوقاف المخصصة لتلك المؤسسات، وكانت هذه البراءة تصدر من السلطان نفسه، أو شيخ الإسلام[81]، أو قاضي العسكر[82]، وكانت ترد على شكل أوامر سلطانية، وللأسف لا يوجد أوامر سلطانية لمدينة دمشق في فترة البحث –أي في القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي– ولكن بالقياس مع مدينة حلب فقد وردت العديد من الأوامر السلطانية على مدينة حلب في فترة البحث، والتي تؤكد على انتشار هذه الطريقة في تعيين المُدرّسين[83].

ومن خلال البحث في سجلات المحكمة الشرعية في دمشق تم العثور على عدد من الوثائق التي تؤكد على اتباع هذه الطريقة في فترة البحث في التعيين، ومن هذه الوثائق وثيقة تعيين أحد المُدرّسين في المدرسة البادرائية[84] في سنة 1102هـ /1691م، بناءً على براءة صادرة عن السلطان العثماني[85]، ووثيقة أخرى تنص على تعيين مُدرّس في المدرسة القصاعية[86] في العام 1101هـ/1690م، بناءً على قرار صادر من شيخ الإسلام[87]. وما تم ذُكره من وثائق المحكمة الشرعية في دمشق ليس إلا أمثلة بسيطة

---

[81] شيخ الإسلام: أعلى منصب ديني في الدولة العثمانية. كان مسؤولاً عن تعيين القضاة وعزلهم والإشراف على التدريس والمدارس وإصدار الفتاوى الشرعية، وقد استخدم هذا اللقب في نهايات القرن السابع عشر الميلادي بعد أن كان يسمى مفتياً. صابان (سهيل): المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مكتبة الملك فهد، الرياض، 2000، ص142.

[82] قاضي العسكر: يأتي في المرتبة بعد شيخ الإسلام، وكانت وظيفته تتمثل بإصدار الأحكام والفتاوي الشرعية، وكان قضاة الأناضول يتبعون قاضي عسكر الأناضول، أما قضاة الروملي والجزر فكانوا يتبعون قاضي الروملي، وكانت لهما صلاحية عزل وتعيين المُدرّسين الذين تقل رواتبهم عن 150 أقجة. سهيل صابان: معجم المصطلحات العثمانية، ص174.

[83] سجل حلب: أوامر سلطانية، رقم 1، وثيقة رقم 26، 28، 29، 32، 92، 94، 96، 114، 121 وغيرها، تاريخ 1101–1102هـ/1690–1691م.

[84] إحدى مدارس المذهب الشافعي، تقع في حي العمارة الجوانية، أنشأها القاضي نجم الدين أبي محمد بن عبد الله البادرائي في العام 654هـ/1256م. كرد علي (محمد): خطط الشام، 6 أجزاء، مطبعة المفيد، دمشق، 1982، ج6، ص78.

[85] سجل دمشق، محاكم شرعية، رقم 20، وثيقة رقم 320، ص 97، صورة 51، تاريخ 1102هـ/1691م.

[86] إحدى مدارس المذهب الحنفي، تقع في حارة القصاعين في الشاغور الجواني، أنشأتها فاطمة بنت الأمير كوكجا سنة 593 هـ/ 1197 م. النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس، ج1، ص434.

[87] سجل دمشق، محاكم شرعية، رقم 18، وثيقة رقم 230، ص 144، صورة 76، تاريخ 1101هـ/1689م.

للتأكيد على انتشار الطريقة الأولى التي ذُكرت في تعيين المُدرّسين، خاصة وأن الأوامر السلطانية لمدينة دمشق في فترة البحث غير متوافرة.

أما الطريقة الثانية في التعيين: كانت تتم عن طريق قاضي القضاة الرومي الحنفي المُرسل من السلطنة العثمانية إلى مدينة دمشق، الذي كان يقترح بشكل مبدئي أسماء المُدرّسين من العلماء، والذي يرغب في تسليمهم الوظائف التدريسية الشاغرة نتيجة عزلٍ، أو وفاةٍ، ويتوخى القاضي تنفيذ ما يمكن تنفيذه مما أتى من شروط في واقفية المدرسة، ريثما تأتي البراءة، التي تثبت هذا المدرس في الوظيفة، أو تعيين آخر بدلاً عنه. وأكدت الوثائق والمصادر على اتباع هذه الطريقة في فترة البحث، ففي العام 1100هـ/1689م قرر قاضي القضاة في دمشق تعيين "...مفخرة الفضلآ والمدرسين رحمه الله جلبي ابن المرحوم مفخرة العلماء والمدرسين عبد المحسن أفندي الألوبي في وظيفة التدريس بمدرسة قصاعية الحنفية بمعلوم قدره في كل يوم عشرون عثمانياً وفي وظيفة التولية على أوقافها بما لها من المعلوم من جهة وقف ذلك عن مفخرة الفضلآ عثمان جلبي بن حسن بحكم وفاته وانحلال ذلك عنه بموته..."[88].

مما سبق نستنتج أن قاضي القضاة في دمشق كان يُسارع لتعيين المُدرّسين في الوظائف العلمية الشاغرة حديثاً، ومن ثم يقوم بإرسال ترشيحه إلى العاصمة استانبول، وينتظر الرد، وقد يأتي مع الموافقة كما حدث مع عبد الرحمن بن محمد العمادي الحنفي(980-1051هـ/1573-1642م) الذي أصبح "...مدرساً بمدرسة السلطانية السليمانية الشامية عن مصطفى أفندي الشهير بزرده بتقرير قاضي دمشق المولى عبد الله أفندي الشهير بمحمود زاده بين البرية وعرض له بها إلى الأبواب السلطانية فصادف أن المولى المرحوم أسعد أفندي عزل وصار مكانه شيخ الإسلام يحيى أفندي ابن المرحوم زكريا أفندي بن بيرام فقبل العرض...."[89]. وفي أحيان أخرى كان يأتي الرد

[88] سجل دمشق، محاكم شرعية، رقم 18، وثيقة رقم 48، ص 36، صورة 22، تاريخ 1100هـ/1689م
[89] فضل الله المحبي: فيض المنان، ق 180.

بالرفض وتعيين آخر، وهذا ما حدث مع عبد الرحمن بن محمد الحسيني (1048–1081هـ/1639–1671م)[90] الذي "...صار مدرساً بالمدرسة المعروفة بالجوزية[91] بتقرير قاضي دمشق المولى يحيى أفندي ابن المرحوم عبد العزيز أفندي ابن الخواجة سعد الدين وعرض له فيها إلى الأبواب العلية السلطانية في ذلك الحين فلم تتيسر له وصارت لغيره في ذلك الأوان...، ثم صار مدرسا بالمدرسة الشامية الجوانية[92] بتقرير من القاضي المذكور وعرض له بها، ...فلم تتيسر له أيضاً..."[93].

إذاً لم يطرأ أي تغيير على طرق تعيين المُدرّسين في مدينة دمشق في القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي عما كان سائداً في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، فقد استمر العمل بهاتين الطريقتين، وكانت هاتين الطريقتين تكملان بعضهما البعض، وإن كانت الأولى هي الأقوى، والأضمن، والأكثر استمرارية من الثانية.

ج – الأساليب المُتبعة للحصول على الوظائف العلمية:

اتبع المُدرّسون أساليب متنوعة في سبيل الحصول على المناصب العلمية مثل السفر إلى العاصمة للتوسط لدى أولي الأمر بهدف الحصول على المناصب، والفراغ[94] مقابل المال، والتوريث، واستغلال العلاقات الشخصية، والرشاوي، ما إلى ذلك، وسأكتفي بذكر مثال عن كل حالة فقط. ومن الذين سافروا إلى العاصمة استانبول للحصول على وظيفة

---

(90) أديب، شاعر، مُدرّس، درس في دمشق والروم، ودرّس في بعض مدارس الروم، كما درّس في الجامع الأموي، وتولى بعض الوظائف القضائية. فضل الله المحبي: فيض المنان، ق203–204.

(91) إحدى مدارس المذهب الحنبلية، تقعُ في سوق القمح (سوق البزورية) بالقرب من الجامع الأموي، أنشأها الشيخ محيي الدين يوسف بن الجوزي (580–656هـ/1184–1257م) وذلك في عام 652هـ/1254م. النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس، ج2، ص23.

(92) إحدى مدارس المذهب الشافعي، تقع في زقاق المحكمة، أنشأتها ست الشام خاتون بنت الملك الأفضل أيوب في العام 628هـ/1231م. بدران: منادمة الأطلال، ص106. العلبي: خطط دمشق، ص126.

(93) فضل الله المحبي: فيض المنان، ق 203.

(94) هو أحد الأساليب المُتبعة للحصول على الوظائف العلمية، وكانت تتم هذه العملية عند قاضي القاضي الحنفي، وبموافقته، حيث يحضر صاحب الوظيفة والشخص الراغب بالوظيفة، ويقوم صاحب الوظيفة بالفراغ – أي التنازل – عن الوظيفة للشخص الآخر، ولا تتم هذه العملية إلا بعد موافقة قاضي القضاة الحنفي على ذلك. وسيتم تناول هذا الأسلوب بالتفصيل بالصفحة 16.

علمية أحمد المجروحي الشافعي(1009-1069هـ/1601-1659م) فقد سافر إلى العاصمة في العام 1050هـ/1640م ونجح في الحصول على وظيفة تدرّيس المدرسة اليونسية، وسافر أيضاً في العام 1060هـ/1650م وحصل على وظيفة تدرّيس المدرسة القجماسية[95]. وهناك من سافر لاسترجاع وظائف كان يشغلها مثل اسماعيل بن عبد الغني النابلسي الحنفي(1017-1062هـ/1608-1652م)[96] الذي سافر إلى العاصمة ونجح باستعادة وظيفته كمُدرّس في المدرسة السليمية[97].

وهناك العديد من المُدرّسين الذين سافروا إلى العاصمة بهدف الحصول على وظائف علمية لكن الحظ لم يحالفهم في ذلك، ومنهم عبد القادر بن مصطفى الصفوري الشافعي(1010-1081هـ/1602-1670م)[98]، بالرغم من أنه مكث في العاصمة مدة طويلة ودرّس لاحقاً في المدرسة البلخية[99] ودار الحديث الأشرفية[100]. مما سبق يمكن القول إن السفر إلى العاصمة للحصول على الوظائف كان من الطرق الرائجة في مرحلة البحث، وهناك من نجح في مسعاه، وهناك من فشل، وكان النجاح في هذا الأمر يتوقف على طبيعة الشخص الطامح بالوظيفة، ومكانته العلمية، وعلى معارفه في العاصمة، فضلاً عن النظر إلى مدى قدرته على دفع الأموال.

هناك من اتبع أسلوب الفراغ، وكانت من أكثر الأساليب المُتبعة للحصول على الوظائف العلمية بشكل سهل وسريع، وكانت تتم هذه العملية عند قاضي القضاة الحنفي، وبموافقته حيث يحضر صاحب الوظيفة والشخص الراغب بالوظيفة، ويقوم صاحب

---

[95] محمد أمين المحبي: خلاصة الأثر، جـ 1، ص 242

[96] فقيه، محدث، مدرّس، قاض، درس في دمشق، واستانبول والحجاز ومصر، وترك العديد من المؤلفات الفقهية. فضل الله المحبي: فيض المنان، ق75-78.

[97] فضل الله المحبي: فيض المنان، ق 76.

[98] فقيه، محدث، مفسر، نحوي، درس في دمشق ومصر، ودرّس في عدة مدارس في دمشق وترك عدد من المؤلفات. محمد أمين المحبي: خلاصة الأثر، ج2، ص467-469.

[99] إحدى مدارس الحنفية، تقع بجانب المدرسة الصادرية، بناها الأمير أكز الدقاقي للشيخ برهان الدين أبي الحسن البلخي(ت548هـ/1153م). العلموي: مختصر تنبيه الطالب، ص 80.

[100] محمد أمين المحبي: خلاصة الأثر، جـ 2، ص 468.

الوظيفة بالفراغ عن هذه الوظيفة للشخص الآخر، ولا تتم هذه العلمية إلا بعد موافقة قاضي القضاة الحنفي على ذلك، ويتم توثيق ذلك عنده، وقد يكون الفراغ لقاء مبلغٍ من المال، أو لتوريث الوظيفة لأحد الأقرباء، أو لمنحها لأحد المعارف عن طيب خاطر، بسبب انشغال صاحب الوظيفة بوظيفة أخرى، أو بسبب مرضه.

ومن الذين فرغوا عن وظائفهم لقاء مبلغ من المال أبو الطيب بن بدر الدين الغزي الشافعي(ت1042هـ/1633م)[101] مُدرّس المدرسة القصاعية، حيث فرغ عن وظيفة تدرّيس هذه المدرسة لأحمد بن محمد الفرفوري الحنفي(984–1037هـ/1576–1628م) [102] لقاء مبلغ من المال وقدره ستين ديناراً[103].ومن الذين فرغوا لأحد أقربائهم بغية توريثهم وظائفهم العلمية عبد الرحمن بن محمد العمادي الحنفي (978–1051هـ/1570–1641م)، فقد درَّس ابنه عماد الدين (1004–1068هـ/1596–1658م)[104] في المدرسة الشبلية[105] بعد أن فرغ له والده عنها [106].

ومن الذين فرغوا لأحد معارفهم، لانشغالهم بأمر آخر كالتدرّيس في مدرسة أخرى، أو لسفر إلى مكان ما، أو لمرض أصابهم، الحسن البوريني الشافعي (963–1024هـ/1556–1615م)، الذي فرغ عن تدرّيس المدرسة الناصرية الجوانية لإبراهيم بن كسبائي العمادي الحنفي (954 –1008هـ/ 1547–1600 م)[107]، وذلك عندما كُلف

[101] أديب، شاعر، مُدرّس، درس في دمشق والقاهرة، وترك العديد من الأشعار. محمد أمين المحبي: خلاصة الأثر، ج1، 135.

[102] مُدرّس، فقيه، أديب، درس في دمشق، ودرّس فيها ترك العديد من القصائد. محمد أمين المحبي: خلاصة الأثر، ج1، ص299–300.

[103] البوريني: تراجم الأعيان، جـ1، ص 267.

[104] مفتي، مدرس، درس في دمشق، وتولى إفتاء المذهب الحنفي فيها، كما درّس في مدارسها. المرادي: عرف الشام، ص74–75.

[105] إحدى مدارس المذهب الحنفي، تقع في الصالحية، شمالي جسر كحيل، أنشأها شبل الدولة كافور الحسامي(ت623 هـ/ 1226 م) وتُعرف أيضاً بالمدرسة الحسامية. النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس، ج1، ص407.

[106] فضل الله المحبي: فيض المنان، ق 188.

[107] مقرئ، خطيب، مُدرّس، درس القراءات في كل من دمشق، ومصر، واشتهر بالقراءات حتى أصبح شيخ القراء بدمشق. البوريني: تراجم الأعيان، ج2، ص20–33.

البـوريني بتـدرّيس المدرسـة العادليـة[108]. كمـا أن الشـهاب العيثـاوي الشـافعي (942-1024هـ/1535-1616م)[109] عنـدما أُصـيب بـالمرض قبـل وفاتـه أراد أن يختـار أحـد المُدرّسين الأكفاء ليفرغ لـه عن المدرسة الشامية البرانية[110]، ووقع الاختيار على أحد طلابه وهو نجم الدين محمد الغزي الشافعي (977-1061هـ/1570-1651م)[111].

وكان للعلاقات الشخصية بين العلماء ورجال السلطة النافذين سواء في العاصمة، أو فـي مدينـة دمشـق دورٌ مهـمٌ فـي حصـول العلمـاء علـى وظـائف علميـة فالشـيخ الشـهاب العيثاوي الشافعي، السابق ذكره، تولى "...تدريس العمرية والعزيزية[112] ثم الظاهرية ثم الشـامية البرانيـة بعنايـة أسـعد أفنـدي شـيخ الإسـلام[113]..."[114]، ومـن الـذين اسـتغلوا علاقـاتهم الشخصـية بأحـد رجـال السـلطة فـي مدينـة دمشـق المـلا إبـراهيم زيـن الـدين النخجـواني(1005-1058هـ/1597-1648م)[115]، فعنـدما تـولى أخـوه أحمـد أفنـدي الملقب بـالمنطقي قاضـي قضـاة دمشـق "...توفي فـي زمنـه المـلا علـي الكردي...، وكـان

[108] البوريني: تراجم الأعيان، جـ2، ص 31.

[109] هو أحمد بن يونس بن عبد الوهاب المُلقب بالشهاب العيثاوي: علامة، مفتي، مُدرّس، مُحدّث، فقيه، إمام، خطيب، درس على أشهر علماء دمشق، ودرس في العديد من معاهد دمشق، كما تولى إفتاء المذهب الشافعي، ترك العديد من المؤلفات. البوريني: تراجم الأعيان، ج1، ص43-47. نجم الدين الغزي: لطف السمر، ج1، ص308-324.

[110] وهي من أهم مدارس المذهب الشافعي تقع في محلة العوينة من جهة العقبة (سوق صاروجا)، وقد أنشأتها الخـاتون ستّ الشـام ابنـة الملـك الأفضـل نجـم الـدين أيـوب (ت616 هـ/ 1219 م). العلمـوي: مختصـر تنبيـه الطالب، ص46.

[111] نجم الدين الغزي: لطف السمر، جـ1، ص 314-315.

[112] إحدى مدارس المذهب الشافعي، تقع في حي الكلاسة ، وقد أنشأها الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين الأيوبي سنة 593 هـ/ 1197 م. بدران: منادمة الأطلال، ص129.

[113] هو أسعد بن سعد الدين بن حسن جان التبريزي: مفتي التخت العثماني، توفي سنة 1034هـ/1623م.البوريني: تراجم الأعيان، جـ2، ص 49.

[114] نجم الدين الغزي: لطف السمر، جـ1، ص 315.

[115] مُدرس، طبيب، درس في دمشق وتولى عدة مناصب قضائية، كما تولى رئاسة أطباء دمشق لفترة قصيرة، فضل الله المحبي: فيض المنان، ق74.

مدرساً بالمدرسة التقوية[116] فانحلت عنه فوجهها القاضي لأخيه...، ثم بعد مدة عزل منها لموت أخيه...."[117].

كانت الرشوة إحدى الطرق التي اتبعها بعض ضعاف النفوس في سبيل الحصول على وظائف علمية، وكانت الرشاوي تُدفع لرجال السلطة في العاصمة أو في مدينة دمشق، فبرهان الدين بن محمد البهنسي(980–1072هـ/1572–1662م)[118] استخدم هذه الطريقة بعد أن "...كثر ماله سار إلى القسطنطينية وعاد مدرساً بالمدرسة السليمية الكاينة بصالحية دمشق وعد ذلك من العجائب بل من أغرب الغرايب وكان ذلك بالقوة المالية التي لم تتبعها القوة العلمية..."[119]. ومن الذين حصلوا على وظيفة علمية باتباع أسلوب الرشوة عبد الحي أفندي بن منلا يوسف الكردي[120]، الذي كان طامح بالحصول على وظيفة تدرّيس في المدرسة الشامية البرانية، وقد ذكر الغزي أنه في العام 1025هـ/1616م "... مات الشيخ حسن البوريني وكان قد تفرغ عن الشامية لشيخنا وشيخه أحمد العيثاوي وقال: إنها كانت حقه قبلي وقبل غيري وكتب الفراغ بخطه، وأشهد عليه جماعة به... فلم يقبل قاضي القضاة إذ ذاك محمد أفندي جود زاده هذا الفراغ وكان عبد الحي أفندي قد دفع مالاً جزيلاً فوجهها إليه..."[121]، لكن عبد الحي لم يُدرِّس في هذه المدرسة سوى بضعة أشهر، لأن الشيخ الشهاب العيثاوي تمكن من خلال علاقته مع بعض رجال السلطة في العاصمة من الحصول على براءة للتدريس في المدرسة الشامية البرانية[122]و"...ضاع المال على عبد الحي..."[123].

---

[116] إحدى مدارس المذهب الشافعي، تقع في زقاق السبع طوالع الآخذ إلى حي العمارة الجوانية، وكان الملك المظفر تقي الدين عمر شاهنشاه بن أيوب الذي قد أنشأها للعلامة محمد بن محمد الطوسي سنة 575هـ/ 1178م. النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس، ج1، ص162.

[117] فضل الله المحبي: فيض المنان، ق 74.

[118] لم يكن صاحب علم إنما كان تاجر ويستخدم أمواله للحصول على وظائف علمية وقضائية. محمد أمين المحبي: خلاصة الأثر، ج1، ص455–456.

[119] فضل الله المحبي: فيض المنان، ق 101.

[120] مُدرّس، توفي في دمشق في القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي، محمد أمين المحبي: خلاصة الأثر، جـ 2، ص 344.

[121] نجم الدين الغزي: لطف السمر، جـ2، ص 502.

[122] المصدر نفسه، جـ2، ص 502.

د- التنافس بين المُدرّسين:

شهدت مدارس دمشق في القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي تنافساً كبيراً بين المُدرّسين للحصول على الوظائف العلمية، واستخدم المُدرّسون في هذه المنافسات أساليباً متنوعةً كاستغلال العلاقات الشخصية، والرشاوي، والترافع عند القضاة، ووصلت في بعض الأحيان إلى الشتائم فيما بينهم علناً.

وذكرت المصادر المعنية بالبحث العديد من الأمثلة على هذه المنافسات التي حصلت في مدارس دمشق بين المُدرّسين، ومن الأمثلة على ذلك ما حدث مع أبو بكر بن محمد صفي الدين الزهيري (ت1012هـ/1603م)[124] عندما كان يُدرِّس في المدرسة الجوزية بدمشق، وقد نافسه عليها شخص لا يجيد العربية يُدعى موسى بحسب ما ذكره المحبي[125]: "...وأخذ المدرسة عنه رجل رومي اللسان أعجمي يقال له موسى..."، مما أغضب أبو بكر واستدعى علماء مدينة دمشق، وطلب منهم أن يكتبوا تقريراً يذكرون فيه هل موسى كفء للتدرّيس، أم هو غير كفء و"...كتب العلماء فيه وأطالوا، وجالوا في ميدان ذمه وما تركوا له أديماً صحيحاً وشرحوا عرضه بالقول تشريحاً..."[126]، بالرغم من أن أبو بكر كان أديباً، وقاضياً، ومُدرّساً جيداً، وموسى شخص غير كفء بالتدرّيس، إلا أنه في نهاية الأمر حصل على وظيفة تدرّيس المدرسة الجوزية، ولابد أنه حصل عليها بأسلوب ملتوي وقد تمثل هذا الأسلوب بالرشوة، أو الواسطة، وتوفي أبو بكر ولم يُدرِّس بالجوزية مرة أخرى.

---

(123) المصدر نفسه، جـ1، ص 323.

(124) مُدرّس، أديب، شاعر، قاضي، تولى عدة مناصب قضائية وعلمية، في مدينة دمشق، وتوفي فيها. نجم الدين الغزي: لطف السمر، ج1، ص245.

(125) محمد أمين المحبي: خلاصة الأثر، جـ 1، ص 94.

(126) المصدر نفسه، جـ 1، ص 94.

ودخل المولى أحمد بن زين الدين المنطقي الحنفي(1003–1045هـ/1595–1635م)[127] في تنافس مع عبد الرحمن بن محمد العمادي الحنفي(978–1051هـ / 1570–1641م) للتدرّيس في المدرسة السليمية، فعندما كان العمادي مُدرّساً في السليمية تمكن المنطقي من الحصول على تدرّيسها، مما دفع العمادي إلى كتابة قصيدة موجهة إلى المولى أسعد بن سعد الدين مفتي السلطنة العثمانية يلتمس فيها إعادة تدريس السليمية إليه، "...فأعاد له المولى أسعد المدرسة السليمية..."[128]، لكن المنطقي سافر إلى حلب في العام 1025هـ/1616م بهدف استعادة المدرسة السليمية[129]، وقابل الصدر الأعظم الوزير الباشا محمد و"... قرر له المدرسة وعاد إلى دمشق..."[130].

وشهدت المدرسة العذراوية الشافعية تنافساً للتدرّيس فيها، فقد درس بها محمد بن خصيب الشافعي(ت1018هـ/1609م)[131]، وحصل على هذه الوظيفة بعد أن سافر إلى استانبول، مما دفع القاضي ابن المنقار[132]، الطامح بالتدرّيس في هذه المدرسة، للسفر إلى استانبول للحصول على نفس الوظيفة، لكن محمد بن خصيب سافر مرة ثانية إلى استانبول وحصل عليها مجدداً[133]. كما شهدت المدرسة اليونسية تنافساً للتدرّيس فيها، فقد تمكن أحمد المجروحي الشافعي(1009–1069هـ/1601–1659م) سنة 1050هـ/1640م، بعد أن سافر إلى العاصمة من إزاحة مُدرّس هذه المدرسة، وهو أحمد بن محمد الزريابي المالكي (1001–1050هـ/1593–1640م)[134]، وتولى المجروحي

---

[127] قاض، مدرس، أديب، شاعر، درس في دمشق، درّس في مدارس العاصمة، واشتهر أمره حتى صار نديم السلطان مراد الرابع كما تولى قضاء حلب ودمشق لكن آخر أمره قُتل بأمر من السلطنة. فضل الله المحبي: فيض المنان، ق22–25.

[128] محمد أمين المحبي: خلاصة الأثر، جـ 2، ص 381.

[129] المصدر نفسه ، جـ 2، ص 381.

[130] المصدر نفسه، جـ 1، ص 198.

[131] أديب ، قاض، مُدرّس، درس في القدس ومصر، ودرّس بالعديد من مدارس دمشق، وتولى قضاء الشافعية. نجم الدين الغزي: لطف السمر، ج1، ص66.

[132]– لم أعثر على ترجمة له بالرغم من ذكر ثلاث شخصيات من آل النقار في القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي إلا أنهم لم يدرّسوا في العذرائية ولم يتولوا قضاء دمشق.

[133]– محمد أمين المحبي: خلاصة الأثر، ج4، ص154.

[134] قاضي، مدرس، مفتي، درس في دمشق ومصر وتولى إفتاء وقضاء المالكية في دمشق، توفي بدمشق. فضل الله المحبي: فيض المنان، ق41.

التدرّيس بها[135]. ومن المنافسات التي شهدتها مرحلة الدراسة تنافس كل من محمد بن أحمد الأسطواني الحنفي(1016-1072هـ/1607-1662م)[136]، ومحمد بن تاج الدين المحاسني الحنفي(1012- 1072هـ/1603-1662م)[137] للتدرّيس درس الحديث تحت قبة النسر في الجامع الأموي، وذلك عقب وفاة مدرس الحديث تحت القبة سعودي بن نجم الدين الغزي الشافعي(998-1071هـ/1590-1661م)[138]، فقد كان الاثنان قد طلبا تدرّيس الحديث تحت القبة، واجتمعا عند قاضي القضاة "...فوقع بينهما مقاولة ومخاصمة وقيل أنهما تشاتما بألفاظٍ قبيحةٍ ثم رجعت البقعة للمحاسني..."[139]. وشهد درس الحديث تحت القبة تنافس آخر في فترة البحث، فقد تمكن محمد بن محمد العيثاوي الشافعي(ت1080هـ/1669م)[140] من عزل علاء الدين الحصكفي (ت1088هـ/1677م)[141] عن تدرّيس هذا الدرس، وتولى العيثاوي مكانه، لكن الحصكفي سافر إلى العاصمة واجتمع بشيخ الإسلام وأعاد له درس الحديث تحت القبة[142]. إن وصول مُدرّسين غير أكفاء للمناصب العلمية يدّل على فساد الإدارة في السلطنة العثمانية فهؤلاء حصلوا على هذه الوظائف من خلال استغلال العلاقات الشخصية، واستخدام الرشاوي.

---

(135) محمد أمين المحبي: خلاصة الأثر، ج1، ص242.

(136) مُقرئ، مُدرّس، واعظ، فقيه، درس في دمشق ومصر، ودرّس في دمشق. محمد أمين المحبي: خلاصة الأثر، ج3، ص 386-388.

(137) خطيب، مدرّس، شاعر، درس في دمشق واستانبول، ودرّس في العديد من مدارس دمشق وتلك مؤلفات عدة. محمد أمين المحبي: خلاصة الأثر، ج3، ص408-411.

(138) مفتي، مدرس، درس في دمشق والحجاز، تولى وظائف أبيه بعد وفاته مثل إفتاء الشافعية وتدريس الحديث تحت قبة النسر وغيرها توفي في دمشق. محمد أمين المحبي: خلاصة الأثر، ج2، ص209.

(139) المصدر نفسه، جـ 3، ص 388.

(140) مدرس، درس في دمشق وترك بعض المؤلفات وهي عبارة تحريرات في التفسير. أبي المواهب الحنبلي: مشيخته، ص25-46.

(141) هو محمد بن علي بن علي الملقب بعلاء الدين الحصني المعروف بالحصكفي: فقيه، محدث، مدرس، نحوي، درس في دمشق والرملة والمدينة. ودرّس في العديد من مدارس دمشق وتولى إفتاء المذهب الحنفي في دمشق وترك العديد من المؤلفات. المرادي: عرف البشام، ص81-84.

(142) المرادي: عرف البشام، ص83.

هـ – سن تعيين المُدرّس:

لم يكن السن التي يستطيع فيها المُدرّس أن يشتغل بالتدرّيس محدداً، ولم يكن لها "...قانون يحددها، ولا قاعدة تحكمها..."[143]، وكان يتصدى للتدرّيس من كان يرى في نفسه الكفاءة بعد الاشتغال بالعلم، والحصول على الإجازات العلمية.

وعند استعراض عددٍ من المُدرّسين في مدينة دمشق في فترة البحث نلحظ تبايناً في أعمار المدرسين، فقد ذكر أبو المعالي الغزي في ثبته أن محمد بن علي الكاملي الشافعي(1047–1131هـ/1637–1719م)[144] "...تصدر لإلقاء الدروس من حدود سنة أربع وستين وألف[145] إلى أن مات..."[146] أي كان عمره 17 عاماً، ودرّس الكاملي في الجامع الأموي، ودار الحديث الأشرفية وغيرها. كما أن فضل الله بن محب الله المحبي الحنفي(1031–1082هـ/1621–1671م)[147] درّس في المدرسة الأمينية[148] وهو لم يتم العشرين من عمره[149]. وبدأ عبد الغني بن اسماعيل النابلسي الحنفي(1050–1143هـ/1640–1731)[150] "...إلقاء الدروس والتصنيف لما بلغ عشرين عاماً..."[151] كما ذكر أبو المعالي الغزي.

---

[143] خوليان (ريبرا): التربية الإسلامية في الأندلس أصولها المشرقية وتأثيرها الغربية، ترجمة أحمد مكي الطاهر، دار المعارف، ط2، القاهرة، 1993، ص 117– 118.

[144] فقيه، مُدرّس، درس على علماء دمشق، وراسل علماء مصر، درّس في الجامع الأموي، وجامع سيباي. المرادي: سلك الدرر، ج4، ص67.

[145] 1654م.

[146] أبو المعالي الغزي، ثبته، ق 57 – آ.

[147] مؤرخ ، مدرس، قاض، طبيب. درس في دمشق، وحلب واستانبول ومصر وتولى العديد من المناصب القضائية والعلمية، وترك العديد من المؤلفات. محمد أمين المحبي: خلاصة الأثر، ج3، ص277–286.

[148] تقع مقابل باب الزيادة، وقد أنشأها أمين الدولة كمشتكين (ت541هـ/ 1146م) وذلك في سنة 514هـ/ 1120م، ومن المعتقد أنها أول مدرسة للشافعية في دمشق. النعيمي: الدراس في تاريخ المدارس، ج1، ص132.

[149] محمد أمين المحبي: خلاصة الأثر، جـ 3، ص 278.

[150] عالم، مفتي، أديب، مُتصوف، وهو من أهم متصوفة بلاد الشام، قام بالعديد من الرحلات، وترك الكثير من المؤلفات. المرادي: سلك الدرر، ج3، ص30–38.

[151] أبو المعالي الغزي، ثبته، ق 49 – ب.

وتولى أحمد المنطقي الحنفي(1003-1045هـ/1595-1635م) تدرّيس المدرسة السليمية وعمره 22 عاماً[152]. ودرّس نجم الدين محمد الغزي الشافعي(977-1061هـ/1570-1651م) الحديث تحت قبة النسر في الجامع الأموي وعمره 23 عاماً[153]. وعندما أنهى محمد بن أحمد الأسطواني الحنفي(1016-1072هـ/1607-1662م) دراسته في مصر عاد إلى "...دمشق سنة تسع وثلاثين وألف[154] ودرس بها..."[155] أي كان عمره 23 عاماً.

وذكر عبد الباقي تقي الدين الحنبلي(1005-1071هـ/1597-1661م)[156] أنه عاد من رحلته العلمية من مصر إلى دمشق "...سنة 1032هـ[157] بإجازات الأشياخ بالفنون المزبورة وغيرها بالإفتاء والتدريس، فدرَّس في جامع بني أمية زمن قدومي..."[158]، أي كان عمره 27عاماً. ودرَّس حسين بن محمد القاري الحنفي(1050-1077هـ/1640-1666م)[159] بالمدرسة الجهاركسية[160]، وكان عمره أقل من 27 عاماً؛ لأنه قد توفي ولم يكن عمره سوى "...سبع وعشرين سنة..."[161] كما ذكر المحبي. وتولى عبد الرحمن

---

[152] محمد أمين المحبي: خلاصة الأثر، جـ 1، ص 198.
[153] نجم الدين الغزي: لطف السمر، جـ1، المقدمة، ص 48.
[154] 1630م.
[155] محمد أمين المحبي: خلاصة الأثر، جـ 3، ص 387.
[156] محدث، متصوف، مدرس،خطيب، شيخ القراء بدمشق، درس في بعلبك والقدس ومصر ودمشق والحجاز وحصل على إجازات كثيرة، ودرس في الجامع الأموي وغيره، ترك العديد من المؤلفات. أبي مواهب الحنبلي: مشيخة أبي المواهب الحنبلي ص32-38. الغزي (محمد كمال الدين بن محمد): النعت الأكمل لأصحاب الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، دار الفكر، دمشق، 1982، ص223.
[157] 1623م.
[158] أبي المواهب: مشيخته، ص 34.
[159] مُدرّس، شاعر، درس بدمشق، وتوفي فيها، محمد أمين المحبي: خلاصة الأثر، ج2، ص113.
[160] إحدى مدارس المذهب الحنفي، تقع في حي الصالحية، أنشأها الأمير فخر الدين جركس أو جهاركس في العام 648هـ/1250م. ابن طولون: القلائد الجوهرية، ج1، ص208-210.
[161] محمد أمين المحبي: خلاصة الأثر، جـ 2، ص 113.

بن محمد العمادي الحنفي(978–1051هـ/1570–1641م) تدرّيس المدرسة الشبلية[162] وعمره 38 عاماً[163]، وهي أول مدرسة يُدرّس بها العمادي.

من خلال ما سبق ذكره من نماذج مختلفة حول أعمار المُدرّسين عندما زاولوا مهنة التدرّيس نستنتج عدم وجود نص شرعي حُدّد فيه سن المُدرّس، فأحياناً نلاحظ هناك بعضاً من المُدرّسين قد بدأوا التدرّيس وهم لم يتجاوزوا العشرين عاماً، وهناك من بدأ مزاولة التدرّيس وعمره عشرون عاماً، وآخرون تجاوزوا العشرين بسنوات من عمرهم. وبالتالي فإن سنّ المُدرّس كان يتعلق بأمرين:

الأمر الأول: قدرة المُدرّس على التحصيل العلمي الذي يحتاجه حتى ينال إجازة في التدرّيس، ويصبح بالتالي جاهزاً للقيام بعملية التدرّيس.

الأمر الثاني: تكليف المُدرّس في إحدى المعاهد العلمية، وهذا الأمر يدخل فيه عوامل كثيرة، لأن المُدرّس قد يحصل على إجازة، لكنه لا يوفق بالحصول على وظيفة علمية إلا بعد مضي مدة من الزمن، وهناك من يحصل على وظيفة بعد حصوله على إجازة بالتدرّيس مباشرةً، والأسباب كثيرة وقد سبق ذُكرها.

و– رواتب المُدرّسين:

كانت القاعدة العامة تقتضي بأن يُقدّر مرتب جارٍ للمُدرّس من مخصصات وقف المدرسة يتقاضاه بانتظام. وكانت الرواتب تتباين بين مُدرّس وآخر، وبين مدرسةٍ وأخرى؛ بسبب تأثرها بمقدار الوقف الذي أوقف على خدمة المدرسة[164]. فمن المعروف أن لكل مدرسةٍ وقفها الخاص، ويتكفل هذا الوقف بدفع رواتب الهيئة التدريسية، والإدارية والطلاب، كما يتكفل بدفع النفقات المختلفة للمدرسة من (طعام وقرطاسية، وإنارة وغير ذلك من خدمات). وأشارت وثائق المحكمة الشرعية في دمشق لمقدار هذه الرواتب، ففي

[162] إحدى مدارس المذهب الحنفي، تقع في الصالحية، شمالي جسر كحيل، أنشأها شبل الدولة كافور الحسامي(ت623 هـ/ 1226م) وتُعرف أيضاً بالمدرسة الحسامية. النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس، ج1، ص407.

[163] فضل الله المحبي: فيض المنان، ق 180

[164] أحمد شبلي: تاريخ التربية الإسلامية، ص 245–246.

العام 1100هـ/1689م عُين الشيخ أبا بكر مُدرّساً في المدرسة العمرية براتب قدره 15 عثمانية عن كل يوم[165]، وفي نفس العام عُين الشيخ اسماعيل بن زين الدين مُدرّس في المدرسة العمرية أيضاً "... بما لها من المعلوم المعين من جهة الوقف المرقوم في كل يوم خمسة عشر درهماً ..."[166].

وقد حصل عبد المحسن أفندي الألوبي بعد تعيينه مُدرّساً في المدرسة القصاعية الحنفية في العام 1100هـ/1689م على راتب "...قدره في كل يوم عشرون عثمانياً بما لها من المعلوم المعين لها من جهة وقف ذلك..."[167]. ونال الشيخ عثمان أفندي بن محمد المُعيد راتب قدره خمس دراهم عثمانية عن كل يوم بعد تعيينه مُدرّساً لإحدى بقع التدريس في الجامع لأموي، وذلك في العام 1103هـ/1692م[168].

وعلى ما يبدو حدثت زيادة على رواتب المُدرّسين في القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي عما كانت عليه في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، ويُستدّل على ذلك مما ذكره الغزي في ترجمة محمد بن محمد البهنسي الحنفي(927-987هـ/1521-1579م)[169] "...درس في الجامع الأموي، والسيبائية[170] ثم المقدمية[171] ومات وعلوفته[172] في التدريس بها ثمانون عثمانياً ولم

[165] سجل دمشق، محاكم شرعية، رقم 18، وثيقة رقم 59، ص 39-40، صورة 24، تاريخ 1100هـ/1689م.
[166] سجل دمشق، محاكم شرعية، رقم 18، وثيقة رقم 74، ص 48، صورة 28، تاريخ 1100هـ/1689م.
[167] سجل دمشق، محاكم شرعية، رقم 18، وثيقة رقم 48، ص 36، صورة 22، تاريخ 1100هـ/1689م.
[168] سجل دمشق، محاكم شرعية، رقم 20، وثيقة رقم 554، ص 174، صورة 90، تاريخ 1103هـ/1692م.
[169] مفتي، مدرس، إمام ترك العديد من المؤلفات، توفي بدمشق. ابن العماد (أبي الفلاح عبد الحي): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، 8 أجزاء، دار المسيرة، ط 2، بيروت، 1979، جـ 8، ص 410-411.
[170] إحدى مدارس المذهب الحنفي، تقع في جادة الدرويشية، أنشأها الأمير سيباي في العام 920هـ/1514م. بدران: منادمة الأطلال، ص175.
[171] إحدى مدارس المذهب الحنفي، تقع داخل باب الفراديس، أنشأها شمس الدين محمد بن المقدم في العام 575هـ/1180م. النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس، ج1، ص456.
[172] العلوفة: ما تقوم به الدولة بدفعه نظيراً للطعام والشراب لذوي الاستحقاقات مقابل خدمات معينة أو على سبيل المثال المكافأة والعلوفة في الأصل ما يقدم للدابة من علف. صابان: معجم المصطلحات العثمانية، ص155-156.

يبلغ المقدار قبل شيخ الإسلام الوالد[173]، وصاحب الترجمة أحد، ثم حدث بعد موتهما ترقية التدريس إلى مائة عثماني..."[174]. مما سبق نستنتج أن أعلى راتب حصل عليه مدرس في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي هو 80 عثماني، بينما ارتفع هذا الراتب إلى 100 عثماني في القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي.

ز– الجمع بين الوظائف:

هناك العديد من المُدرّسين الذين لم يكتفوا بوظيفة واحدة فقط، بل شغلوا وظيفتين، أو ثلاثة، أو أكثر في نفس الوقت، وقد يجمع المُدرّس بين وظائف علمية، ودينية، وقضائية، ووقفية، وإدارية، ويعود سبب جمع المُدرّسين لأكثر من وظيفة في آن واحد رغبةً منهم في زيادة رواتبهم، وتحسين أوضاعهم المعيشية، فكل وظيفة لها راتب محدد كما هو معروف هذا من ناحية، ولرفع قيمتهم الاجتماعية من ناحيةٍ أخرى، وذكرت وثائق المحكمة الشرعية في دمشق، والمصادر التاريخية الكثير من الأمثلة عن مُدرّسين جمعوا بين عدة وظائف في آنٍ واحد.

وممن جمع بين عدة وظائف علمية أيضاً في آن واحد مثل عبد اللطيف بن محب الدين الحموي الحنفي (966–1023هـ/1559–1614م)[175]، الذي درّس في المدرسة الظاهرية والشامية البرانية في آن واحد[176]. وكذلك الأمر مع أحمد بن أبي الوفاء بن مفلح الحنبلي(ت1038هـ/1629م)[177] حيث جمع بين التدريّس في دار الحديث

---

[173] أي بدر الدين الغزي والد نجم الدين الغزي. وهو محمد بن محمد بن أحمد الغزي العامري الشافعي الدمشقي(904–984هـ/1499–1576م): محدث، مفتي، مدرس، درس في دمشق والحجاز، مصر والروم، ودرس في مدارس دمشق مثل العادلية، الفارسية، الشامية، وغيرها، تولى إفتاء المذهب الشافعي في دمشق، وترك مؤلفات في الفقه والرياضيات. الغزي (نجم الدين محمد بن محمد): الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، 3 أجزاء، وضع حواشيه خليل منصور، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1997، ج 3، ص 5.

[174] الغزي: الكواكب السائرة، جـ 3، ص 12.

[175] قاض، مدرس، درس بدمشق واستانبول ومكة، تولى قضاة حماه، ترك العديد من المؤلفات. البوريني: تراجم الأعيان، ج2، ص345–349.

[176] محمد أمين المحبي: خلاصة الأثر، جـ 3، ص 19–20.

[177] إمام، فقيه، مُحدث، مُدرّس، درس في دمشق، وبرع بالحديث، والفقه، والتاريخ. محمد أمين المحبي: خلاصة الأثر، ج1، ص165–166.

الناصرية[178] والجامع الأموي[179]. وكما جمع محمد بن محمد بن على الحزرمي الحنفي (ت1042هـ/1633م)[180] بين تدرّيس المدرسة اليونسية والجامع الأموي أيضاً[181]. في حين جمع عمر القاري الشافعي(958-1046هـ/1551-1636م)[182] بين تدرّيس المدرسة الشامية الجوانية والجامع الأموي[183].

وهناك من جمع بين وظائف العلمية ومنصب الإفتاء في آن واحد، مثل أبو بكر بن مسعود المغربي المالكي (984-1032هـ/1576-1623م)[184] الذي تولى إفتاء المذهب المالكي ودرّس في المدرسة الغزالية[185]. وتولى بعض المدرّسين مناصبَ قضائيةً بالإضافة إلى الوظائف العلمية مثل أحمد بن علي الصفوري الشافعي(977-1043هـ/1569-1634م) حيث تولى قضاء الشافعية في محكمة الباب[186]، ودرّس في دار الحديث الأشرفية[187]. كما جمع بعض المُدرّسين بين التدرّيس والوعظ في آن واحد، مثل أحمد بن محمد الداراني الشافعي(1050-1093هـ/1640-1682م)[188]، الذي درّس

---

[178] إحدى دور الحيث، تقع في محلة الفوافير في حي الصالحية، أنشأها الملك الناصر صلاح الدين يوسف في العام 654هـ/1256م. ابن طولون القلائد الجوهرية، ج1، ص147.

[179] محمد أمين المحبي: خلاصة الأثر، جـ 1، ص 166.

[180] فقيه، مدرّس، درس في دمشق تولى عدة وظائف دينية وعلمية. محمد أمين المحبي: خلاصة الأثر، ج4، ص181.

[181] محمد أمين المحبي: خلاصة الأثر، جـ 4، ص 181.

[182] شاعر، قاضي، مدرس، تولى قضاء الحج الشامي في سنة 1051 هـ/ 1641م. محمد أمين المحبي: خلاصة الأثر، ج4، ص54-55.

[183] محمد أمين المحبي: خلاصة الأثر، جـ 3، ص 224.

[184] مدرس، مفتي، درس في مراكش ومصر ودمشق، تولى مناصب علمية ودينية توفي بدمشق، البوريني: تراجم الأعيان، ج1، ص275.

[185] إحدى مدارس المذهب الشافعي، تقع في الزاوية الشمالية الغربية للمسجد الأموي شمالي مشهد عثمان المعروف بمشهد النائب، وهي اليوم أحد مشاهد الجامع الأموي. كرد علي: خطط الشام، ج6، ص87.محمد أمين المحبي: خلاصة الأثر، جـ 1، ص 97.

[186] محكمة الباب: كانت من محاكم العهد العثماني في سوق الخياطين، قبالة المدرسة النورية الكبرى، وفيها مركز قاضي القضاة، سُميت بذلك نسبة إلى الباب العالي الذي يمثل السلطة العليا للدولة، لذلك عُرفت أيضاً (بمحكمة باب أفندي) ، أو لعلها نُسبت إلى الباب الشرقي لقلعة دمشق لقربها منها، وعُرفت كذلك (بمحكمة النورية) لوقوعها قبالة المدرسة النورية الكبرى. نجم الدين الغزي: لطف السمر، ج1، ص27، ح4.

[187] محمد أمين المحبي: خلاصة الأثر، جـ 1، ص 246.

[188] مُدرّس، فقيه، واعظ، درس في دمشق والمدينة المنورة. الدكدكجي: مشيخته، ق22- آ

في المدرسة العمرية ووعظ في الجامع الأموي[189]. وهناك من جمع بين التدرّيس، والخطابة مثل عبد الباقي تقي الدين الحنبلي(1005–1071هـ/1597–1661م) الذي خطب في جامع منجك[190]، ودرّس في المدرسة العادلية[191]. وهناك من جمع بين التدريس، والتوليه في آن واحد مثل عبد المحسن الألوبي تدرّيس المدرسة القصاعية، والتولية على أوقافها أيضاً[192].

وهناك من جمع بين التدريس، والإفتاء، والقضاء في آن واحد مثل أحمد بن محمد الزريابي المالكي (1001–1050هـ/1593–1640م) الذي تولى إفتاء المذهب المالكي وقضاء المالكية في محكمة الباب ودرّس في المدرسة اليونسية[193]. وبعضهم جمع بين التدرّيس، والقضاء، والخطابة في آن واحد مثل إبراهيم البوريني الشافعي(980–1048هـ/1572–1638م)[194] الذي كان خطيباً في جامع جراح[195]، وتولى أيضاً قضاء الشافعية في محكمة العوينة[196] ودرّس في الأموي[197]. في حين جمع بعضهم بين التدرّيس، والإمامة، والوعظ في آن واحد مثل علاء الدين بن ناصر الدين الطرابلسي

---

[189] الدكدجي: مشيخته، ق 22–ب.

[190] جامع منجك: لا يزال في حي الميدان الوسطاني، بالجزماتية، على الطريق العام. شيدّه نائب الشام في العهد المملوكي الأمير ناصر الدين محمد بن ابراهيم بن يوسف سيف الدين منجك الكبير بحدود سنة 810هـ / 1407م وحُملت الحجارة لبنائه من أرض العمارة. والجدير بالذكر أن المؤرخين اختلفوا في اسم بانيه، فمنهم من نسبه إلى ابراهيم بن سيف الدين منجك، وذهب البعض إلى أنه الأمير ابراهيم بن منجك سنة 763هـ / 1362م وجدّد الجامع تجديداً شاملاً في العهد العثماني، والحقب اللاحقة. العلبي: خطط دمشق، ص 356.

[191] أبي المواهب: مشيخته، ص 37.

[192] سجل دمشق، محاكم شرعية، رقم 18، وثيقة رقم 48، ص 36، صورة 22، تاريخ 1100هـ/1689م.

[193] محمد أمين المحبي: خلاصة الأثر، جـ 1، ص 317.

[194] مُدرّس، قاضي، خطيب، هو أخ العلامة الحسن البوريني، وكان يتكلم اللغة التركية. فضل الله المحبي: فيض المنان، ق75.

[195] جامع جرّاح: لا يزال في حي الشاغور البراني، لصيق مقبرة الباب الصغير من جهة الشرق. أمر ببنائه السلطان صلاح الدين الأيوبي سنة 578هـ /1182م. وجدّد أكثر من مرة. العلموي: تنبيه الطالب، ص226.

[196] محكمة العوينة: كانت تقع في القزازين، بمحلة العمارة البرانية، جنوب جامع الجوزة، سمّيت بذلك نسبة لقناة ماء كانت إلى الجنوب منها تُعرف (بقناة العوني)، كما كانت هذه المحكمة تُعرف (بمحكمة الكلاب)، و(بمحكمة العوني). نجم الدين الغزي: لطف السمر، ج1، ص43، ح2.

[197] فضل الله المحبي: فيض المنان، ق 75.

الحنفي(950-1032هـ/1543-1623م)[198]، ومنهم من جمع بين التدرّيس، والوعظ، والخطابة في آن واحد مثل الحسن البوريني الشافعي(963-1024هـ/1556-1615م)[199].

ح- الإقامة في المدارس:

كانت المدرسة مؤسسةً اجتماعيةً إلى جانب كونها مؤسسةً تعليميةً. فكانت تضم مساكن للمُدرّسين، والطلبة وأصحاب الوظائف الأخرى، وعمل واقفو المدارس على توفير السكن للمُدرّسين في مدارسهم التي كانوا يوقفونها، ولاسيما الغرباء والفقراء منهم[200]. ومن مدرّسو فترة البحث الذين سكنوا مدارس دمشق أحمد الكردي العمادي الشافعي(ت1009هـ/1601م)[201] حيث سكن المدرسة الكلاسة ودرّس فيها[202]. ودرّس عبد الحليم عجم زاده (ت1033هـ/1624م)[203] في الجقمقية وسكن المدرسة البلخية[204]. كما أقام عبد اللطيف بن حسن القزديري الحنفي(986 -1043هـ/1578-1633م)[205] في المدرسة العادلية ودرّس فيها[206]، ومن الذين سكنوا ودرسوا في المدرسة العمرية في فترة البحث علي بن ابراهيم القبردي(ت1060هـ/1650م)[207]. هذه بعض الأمثلة للمُدرّسين الذين سكنوا مدارس دمشق، إن توفير بعض المدارس الشرعية

---

[198] مدرس، متصوف، فقيه، إمام. درس القراءات والفرائض والحديث في دمشق، وبرع في القراءات وأصبح شيخ القراء في دمشق، تولى إمامة الحنفية في الجامع الأموي ودرس في العديد من مدارس دمشق وترك عدة مؤلفات. محمد أمين المحبي: خلاصة الأثر، ج3، ص186-187.

[199] فضل الله المحبي: فيض المنان، ق 112.

[200] شبلي: تاريخ التربية الإسلامية، ص 382-385.

[201] متصوف، مُدرّس، ودخل مدينة دمشق 990 هـ/1582م، درس على علماء دمشق، ثم درّس في مدارسها. البوريني: تراجم الأعيان، ج1، ص110-111.

[202] البوريني: تراجم الأعيان، جـ1، ص 110-111.

[203] مدرّس، دخل لدمشق وسكنها قبل العام 1000هـ/1592م. نجم الدين الغزي: لطف السمر، ج2، ص489-490.

[204] محمد أمين المحبي: خلاصة الأثر، جـ 2، ص 325.

[205] مُتصوف، فقيه، مُدرّس، درّس بدمشق، تخرج على يديه الكثير من الطلاب، ترك مؤلفات. فضل الله المحبي: فيض المنان، ق193-194.

[206] فضل الله المحبي: فيض المنان، ق 193.

[207] الدكدكجي: مشيخته، ق 52 ب.

في مدينة دمشق الأماكن اللازمة للإقامة العلماء، والطلاب الوافدون، كان له دور في تشجيع العلماء، والطلاب للقدوم إلى دمشق لدراسة العلوم الشرعية واللغوية ومن ثم التدرّيس في مدارسها.

5- الطلاب:

أُطلق على طلاب المدرسة صفة الفقهاء، حتى قيل فقهاء المدرسة، بدلاً من طلاب المدرسة[208]. وغصت مدارس دمشق بطلبة العلوم الشرعية واللغوية على تنوعها(مدارس فقهية، دور قرآن وحديث، مساجد) حيث لم يكن هناك قيد يحدّ من دخولهم المدارس. إذ لم يكن هناك شروط خاصة بسن الالتحاق بالمدرسة سوى الاستعداد النفسي والعقلي. حيث لم تذكر مصادر فترة البحث أي شروط لدخول الطلاب إلى المدارس، وما يؤكد ذلك إن أغلب المدارس في دمشق لم تذكر في كُتب أوقافها أي شروط لدخول الطلاب إليها. ويُمكن القول إن العائق الوحيد الذي حدَّ من دخول الطلاب إلى المدارس هو عدد الطلاب المُخصص لكل مدرسة. فكل مدرسة حددت في كتاب وقفها الطاقة القصوى للطلاب التي يُمكن أن تستوعبهم. فقد حُدّد عدد طلاب المدرسة الشامية الجوانية بتسعة عشر طالباً[209]، والمدرسة العادلية بعشرون طالباً[210]، والمدرسة العصرونية بعشرون طالباً أيضاً[211]، والمدرسة العمادية بعشرة طلاب[212]، والمدرسة الفارسية بعشرة طلاب أيضاً[213].

[208] ابن طولون، نقد الطالب، ص155.
[209] النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، جـ 1، ص 228.
[210] بدران، منادمة الأطلال، ص 127. العلموي، تنبيه الطالب، ص 58.
[211] العلموي، تنبيه الطالب، ص 62. النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، جـ 1، ص 58.
[212] النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، جـ 1، ص 313.
[213] سجل دمشق، محاكم شرعية، رقم 18، وثيقة رقم 28، ص 19–20، صورة 14، تاريخ 1100هـ/1689م.

وإن تحديد كل مدرسة لعدد طلابها دفع العديد من الطلاب للانتظار ريثما يشغر مكان في هذه المدارس. ومنهم من توجه إلى الحلقات الدرّسية التي كانت تُعقد في مساجد دمشق، فالمساجد لم تحدد عدد الطلاب التي يمكن أن تستوعبهم، وما يدل على ذلك أن بعض الحلقات الدرّسية في فترة البحث جاوز عدد طلابها المئة طالب[214]. وكانت الطلبة تفضل الدراسة في المدارس على المساجد؛ وذلك لأن العديد من المدارس خصصت رواتب شهرية للطلاب[215]، كما أمنت أماكن إقامة لهم فيها[216].

ولا شك إن الفساد الذي كان مُستشري بين بعض أعضاء الهيئة التعليمة والإدارية والقضائية طال الطلاب أيضاً، وأصبح أولوية الدخول إلى المدارس لأولاد الأسر العلمية المشهورة، وأصحاب النفوذ، والمقربين من رجال السلطة في دمشق، أما من لم يحالفه الحظ بالدخول إلى المدرسة توجه إلى المساجد التي استقبلت الطلاب دون أي عوائق.

---

[214] فضل الله المحبي، فيض المنان، ق 94.

[215] بدران، منادمة الأطلال، ص 136. ابن طولون، القلائد الجوهرية، جـ 1، ص 94. محمد أمين المحبي، خلاصة الأثر، جـ 3، ص 408–409 النعيمي، الدارس في تاريخ ، جـ 1، ص 334.

[216] محمد أمين المحبي، خلاصة الأثر، جـ 1، ص 111، وجـ 2، ص 51.

ثالثاً: الخاتمة:

مما تقدم يمكن القول أن الهيئة التعليمية في مدينة دمشق ضمت المُؤدّب والمُعيد ونائب المُدرّس والمُدرّس. ولم تخرج هذه الهيئة في فترة البحث عن الدور المنوط بها مُنذ تأسيس المدارس الفقهية المذهبية في عهد السلاجقة في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، حيث أسهمت في ترسيخ العلوم الشرعية واللغوية على حساب العلوم التطبيقية وهذا ما أدى إلى تراجع الحركة العلمية بشكل عام. ومع دخول دمشق تحت السيطرة العثمانية احتكرت السلطنة قرارات التعيينات في المؤسسات الدينية والقضائية والتعليمية، فأصبح التعيين في هذه المؤسسات حصراً من قبل قاضي القضاة الحنفي المُرسل من قبل السلطنة إلى دمشق، أو من العاصمة العثمانية. كما أحدثت السلطنة بعض التغيرات في رواتب المُدرّسين ودرجاتهم. وانعكس الانحطاط والفساد الذي كان مُستشري بين علماء السلطنة مُنذ النصف الثاني من القرن السادس عشر الميلادي على الهيئة التعليمية في مدينة دمشق، وتجلى هذا الفساد بانتشار الرشوة وشراء الوظائف العلمية على نطاق واسع، حيث لم تعد الكفاءة العلمية هي المعيار لتعيين في المؤسسات التعلمية، بل أصبحت الرشوة، والعلاقات الشخصية مع الأشخاص النافذين من رجال السلطنة سواء في دمشق أو في العاصمة، وهذا ما ترك أثراً سلبياً على الحياة العملية والفكرية التي كانت تعاني بالأساس من الجمود والركود قبل دخول العثمانيين، وعمقت السلطنة بسياستها هذا الجمود والركود ليس فقط في دمشق بل في كافة أنحاء السلطنة.

ملاحق البحث:

1-وثيقة تعيين مُعيد في المدرسة العذراوية الشافعية (سجل دمشق، محاكم شرعية، رقم 20، وثيقة رقم 616، ص 196، صورة 101، تاريخ 1110هـ/1699م).

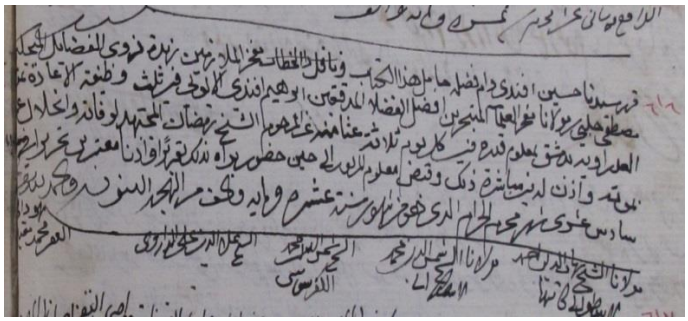

2-وثيقة تعيين مُعيد في المدرسة العمرية :(سجل دمشق، محاكم شرعية، رقم 20، وثيقة رقم 686، ص 220، صورة 113، تاريخ 1110هـ/1699م).

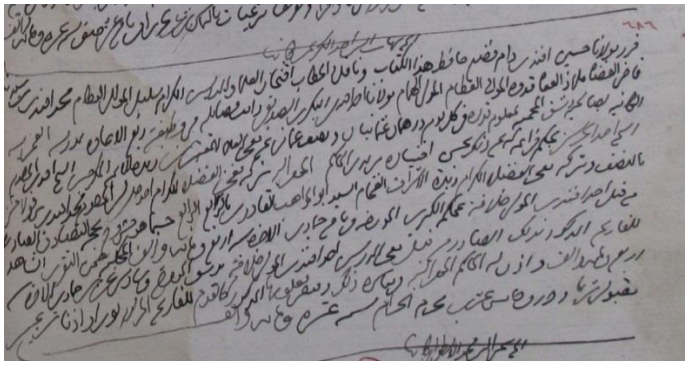

3–وثيقة تعيين مُدرّس في المدرسة البادرائية: (سجل دمشق، محاكم شرعية، رقم 20، وثيقة رقم 320، ص 97، صورة 51، تاريخ 1102هـ/1691م).

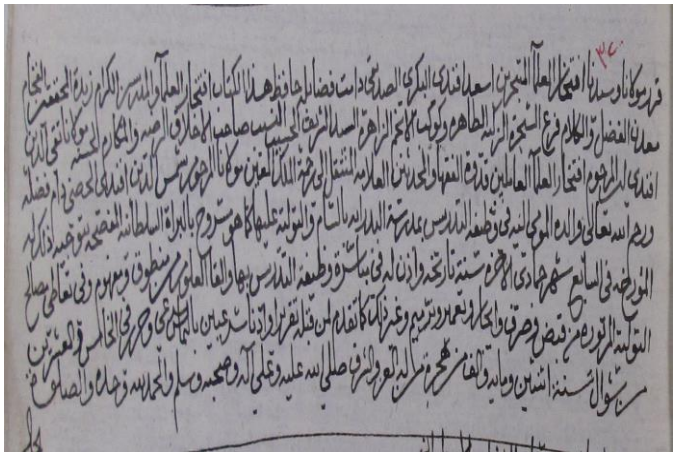

4–وثيقة تعيين مُدرّس في المدرسة القصاعية: (سجل دمشق، محاكم شرعية، رقم 18، وثيقة رقم 230، ص 144، صورة 76، تاريخ 1101هـ/1689م).

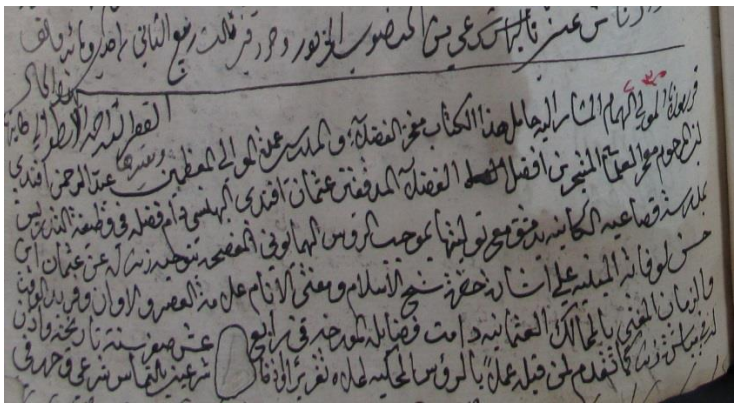

5–وثيقة تعيين مُدرّس في المدرسة القصاعية: (سجل دمشق، محاكم شرعية، رقم 18، وثيقة رقم 48، ص 36، صورة 22، تاريخ 1100هـ/1689م).

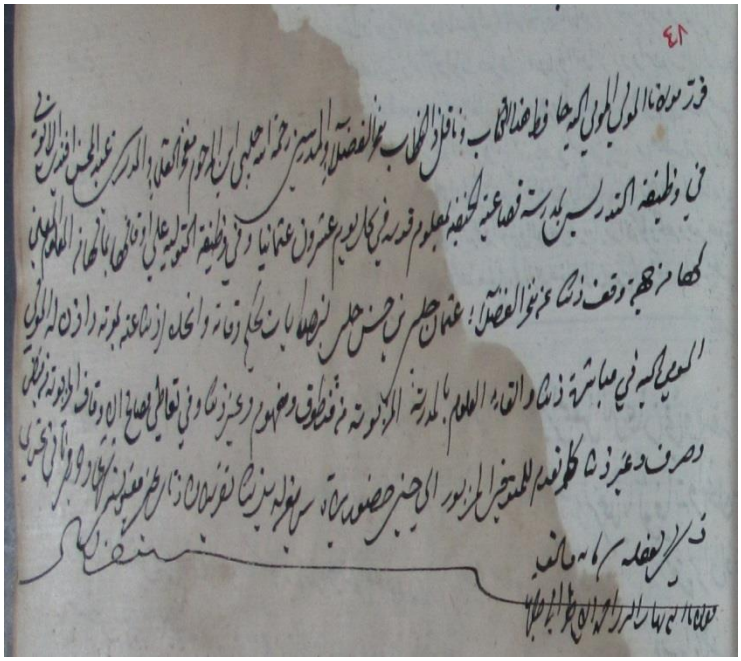

المصادر والمراجع:

أولاً: الوثائق:

1–سجلات المحكمة الشرعية في مدينة دمشق (السجلات 18، 20، 10مشوش).

ثانياً: المصادر المخطوطة:

1. التغلبي (عبد القادر بن عمر ت1135هـ/1723م): ثبته، مخطوط يوجد صورة عنه في مكتبة الأسد، (22ق)، رقم 4415.
2. الدكدكجي (محمد بن ابراهيم بن محم ت1131هـ/1719م): مجموعة مسانيد وإجازات وتراجم لبعض علماء دمشق(مشيخته)، مخطوط يوجد صورة عنه في مكتبة الأسد الوطنية، (ق160)، رقم9273.
3. الغزي (محمد أبو المعالي بن عبد الرحمن ت1167هـ/1754م): ثبته، مخطوط يوجد صورة عنه في مكتبة الأسد الوطنية، (54ق)، رقم3876.
4. المحبي (فضل الله بن محب الدين ت1082هـ/1671م): فيض المنان في تراجم أبناء الزمان، مخطوط يوجد صورة عنه في مكتبة الأسد، (250ق)، رقم 1685.

ثالثاً: المصادر المطبوعة:

1. ابن الحاج، (محمد بن محمد العبدري المالكي الفاسي): المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات والتنبيه على بعض البدع والعوائد التي انتحلت وبيان شناعتها، 4 أجزاء، دار الكتب العربية، ط1، بيروت، 1995.
2. ابن طولون (شمس الدين محمد): القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية، جزءان، تحقيق محمد أحمد دهمان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1980.
3. ابن طولون (شمس الدين محمد): نقد الطالب لزعل المناصب، تحقيق محمد أحمد الدهمان وخالد محمد دهمان، دار الفكر العربي المعاصر، ط1، بيروت، 1992.

4. ابن العماد (أبي الفلاح عبد الحي): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، 8 أجزاء، دار المسيرة، ط 2، بيروت، 1979.
5. ابن كنان (محمد بن عيسى الصالحي): الحوادث اليومية من تاريخ أحد عشر وألف ومية، تحقيق أكرم حسن العلبي، دار الطباع، ط1، دمشق، 1994.
6. البوريني(الحسن بن محمد): تراجم الأعيان من أبناء الزمان، جزءان، تحقيق صلاح المنجد، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، 1966،1959.
7. العلموي (عبد الباسط): تنبيه الطالب و إرشاد الدارس إلى أحوال دور القرآن والحديث والمدارس، تحقيق صلاح الدين المنجد، مديرية الآثار القديمة العامة، دمشق، 1947.
8. العلموي (عبد الباسط): المعيد في أدب المفيد والمستفيد، وقف على طبعه أحمد عبيد، الطبعة الأولى، المكتبة العربية، دمشق، 1349هـ \1930م.
9. الغزي (محمد بدر الدين بن محمد): الدر النضيد في أدب المفيد والمستفيد، تحقيق أبو يعقوب نشأت بن كمال المصري، الطبعة الثانية، مكتبة التوعية الإسلامية، القاهرة ، 2009.
10. الغزي (محمد نجم الدين بن محمد): الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، 3 أجزاء، وضع حواشيه خليل منصور، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1997.
11. الغزي (نجم الدين محمد بن محمد): لطف السمر وقطف الثمر، جزءان، تحقيق محمود الشيخ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، (د.ت).
12. الغزي (محمد كمال الدين بن محمد): النعت الأكمل لأصحاب الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، دار الفكر، دمشق، 1982.
13. القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي): صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، 14 جزء، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المطبوعة الأميرية، مصر، 1963.

14. المحبي (محمد أمين بن فضل الله): خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، 4 أجزاء، (د.ن)، القاهرة، 1865.
15. المرادي (محمد خليل بن علي): سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، 4 أجزاء، دار الكتاب الاسلامي، القاهرة، (د.ت).
16. المرادي (محمد خليل بن علي بن محمد) عرف البشام فيمن وُلِيَّ فتوى دمشق الشام، تحقيق رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع الحافظ، دار ابن كثير، ط 2، بيروت، 1988.
17. أبي المواهب (محمد بن عبد الباقي الحنبلي): مشيخة أبي المواهب الحنبلي، تحقيق محمد مطيع الحافظ، دار الفكر، ط1، دمشق، 1990.
18. النعيمي (عبد القادر بن محمد): الدراس في تاريخ المدارس، جزءان، تحقيق ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، 1990.

رابعاً: المراجع:

1. بدران (عبد القادر): منادمة الأطلال ومسامرة الخيال، المكتب الإسلامي، (د.ت).
2. بوودن (هارولد) وهاملتون (جب): المجتمع الإسلامي والغرب، ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى، مراجعة الدكتور أحمد عزت عبد الكريم، جزءان، القاهرة، 1971.
3. حوراني (ألبرت): الفكر العربي في عصر النهضة 1798–1939، ترجمة كريم عزقول، ط3، بيروت، 1977.
4. حوراني (ألبرت)، تاريخ الشعوب العربية، نقله إلى العربية كمال خولي وأنطوان نوفل، ط2، بيروت، 2002.
5. الخالدي (أحمد سامح): أنظمة التعليم، جزءان، ط1، القدس، 1933.
6. خوليان (ريبرا): التربية الإسلامية في الأندلس أصولها المشرقية وتأثيرها الغربية، ترجمة أحمد مكي الطاهر، دار المعارف، ط2، القاهرة، 1993.

7. شبلي (أحمد): تاريخ التربية الإسلامية، دار الكشاف، ط1، القاهرة، 1954.
8. صابان (سهيل): المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مكتبة الملك فهد، الرياض، 2000.
9. الصباغ (ليلى): المجتمع العربي السوري في مطلع العهد العثماني، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1973.
10. العلبي(أكرم حسن): خطط دمشق، دار الطباع ، دمشق، 1989.
11. قمبر (محمد): دراسات في التربية الإسلامية، دار الثقافة، ط1، الدوحة، 1989.
12. كرد علي (محمد): خطط الشام، 6 أجزاء، مطبعة المفيد، دمشق، 1982.
13. مجموعة مؤلفين: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، مجلدان، إشراف أكمل الدين إحسان أوغلي، ترجمة صالح سعداوي، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، استانبول، 1999.
14. مجموعة مؤلفين بإشراف حوراني (ألبرت) خوري (فليب س) ويلسون (ماري ك): الشرق الأوسط الحديث، ترجمة أسعد صقر، 4 أجزاء، ط1، دمشق، 1996.